

أيام فى الجزائر

كتبها كلا من

سيدي إدريس العراقى

وسيدي العروسى بن عبد الله محمدي

من الثلاثاء ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ هـ حتى ذو القعدة سنة ١٣٥٦ هـ
الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٧ م حتى يناير سنة ١٩٣٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله الذى اختصّ أوليائه المؤمنين بمحبّته ، وأخرجهم من ظلمات الأغيار ببساط أنسه ، ورقاهم بتأييده ونصره إلى حضرة قدسه ، وسلك بهم سبيل الرشاد حتى نال كل فرد من العباد كل مراد ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد إمام الأنبياء والمرسلين وسيد الأبرار والمتقين وقائد الغرّ المحجّلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه الهادين المهتدين وأهل التصر والتمكين ، والرّضا من الله عن سيّدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربّنا الشيخ الواصل القدوة الكامل والقطب المكتوم والبرزخ المختوم المحمّدى المعلوم أبى العباس مولانا أحمد بن سيّدنا ومولانا محمد التجانى جعلنا الله ممن سقاهم من فيض معارفه بأعظم الكؤوس والأوانى ، وحبانا منه بالحبّة التى لا تنحلّ عقدها الموصولة بجبل التّدانى وعن جميع أصحابه وكل من تشبّث بأذياله وانتمى لأبوابه .

أما بعد ، ولا تخلو كل قبيلة من بنى سعد فإن أحسن ما يصرف إليه الإنسان اهتمامه ويذهب فيه ليلاليه وأيامه محاسن أهل العلم والعلماء المتبعين لأقوال الرّسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وإن ممن أكرمه الله بهذه الكرامة وأحلّه بمكانتها وأقامه علامة زمانه وفريد عصره وأوانه خاتمة المحقّقين والمتوجّ بتاج المعرفة بين العارفين ذو الفتح المبين نابغة الشعراء وقسّ الفصحاء العلامة الدّرّاة الفهامة الشّريف الأجلّ الأصيل والسّيّد الفاضل الجليل أبو عبد الله سيّدى محمد الحافظ التجانى بن عبد اللطيف بن سالم من أولاد عبد العال وأهله ينتسبون إلى سيّدنا الحسين السبط حقق الله نسبتنا ونسبته ظاهراً وباطناً ، وإئىّ لما منّ الله علىّ بمعرفته والتمسكّ بعهدده أحببت أن أتعرّض لذكر ما تيسّر من التعريف به ونشأته وسيرته وحالته ، فنقول وبالله المستعان وعليه التكلان :

ولد حفظه الله وطول عمره وكثّر أمثاله بالمنوفية بكفر قورص مركز أشمون بالقطر المصرى

فى ربيع الثانى سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف ١٣١٥ هـ .

أوليته وطلبه للعلم وانتقالاته :

قرأ القرآن الكريم برواية حفص على الشيخ الأستاذ سليمان البنا والشيخ عبد الله حمادة وحفظ المبادئ ، ثم انتقل إلى إيتاي البارود وكان والده قاطناً بها فمكث بها سنة مشغولاً بطلب العلم ، واستحسن والده أن ينتقل في الطلب في غير البلدة التي يقيم بها فأمره أن يسافر لبعض الطلبة إلى نكلا العنب حيث أخذ عن الشيخ محمد المهدي والأستاذ علي بكير والشيخ عرفة فمكث بها سنة ، ثم قدم العلامة اللغوي الشيخ يوسف الكومي إلى إيتاي البارود وكذلك الأستاذ علي بكير وجماعة من الفضلاء وأنشأوا بها معهداً علمياً برئاسة الأستاذ ابن حسن فقراً صاحب الترجمة علي الشيخ يوسف الكومي في اللغة والمعقولات وعلى الأستاذ بكير الرياضة و باقي العلوم على أساتذة المعهد وأخذ الخطّ على الأستاذ المعروف محمد المرتضى صابر فمكث سنتين ، ثم انتقل إلى مصر القاهرة فأخذ عن جماعة من العلماء منهم الشيخ إسماعيل الإسلامبولي الحنفي فمكث في صحبته سنة وصحب العلامة عبد المنعم قاسم المالكي خمس سنوات ، وأخذ الأصول عن الشيخ اسكندر وفخر الأصوليين بالأزهر الشيخ محمد ماضي الرخاوي ، وصحب الشيخ محمود خطاب السبكي شارح سنن أبي داود وكان يقرأ الحديث والأصول ، وأخذ الحديث عن العلامة الكبير الشيخ محمد السمالوطي ، والتفسير عن الشيخ يوسف الدجوى المالكي ، ثم صحب الشيخ سلامة العزامي ابن شيخ قبيلة العزازلة الحاج هندی العزامي وهو من جملة أئمة العلماء الفضلاء الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة وله الإمامة في كل علم وفي كل فنّ من المعقول والمنقول فلازمه وتفرغ له ورجع إليه في سائر فروع العلم حتى قضى الله له بالتأهل للإفادة والاستفادة ، وأجاز له في التصدي لنشر العلم فاشتغل بذلك وقرأ التفسير وكتب السنّة والتوحيد والتصوّف وغيرها ، والحمد لله رب العالمين .

حاله :

لا زال حفظه الله صالحاً خيراً ديناً ورعاً عفيفاً صيناً متواضعاً ، حسن النادرة والفكاهة ، ذا أخلاق حسنة منور الوجه كث اللحية جميل الصورة كثير الوقار ، قليل الكلام إلا فى محلّ الضرورة ، تاركاً لما لا يعنيه طارحاً للتكلف ، شديد الاحتراز فى الطهارة بحيث إنه يناله بسببها مشقة شديدة لا يصدّه عن ذلك مرض ولا غيره ، شديد التواضع لا يرى لنفسه على أحد فضلاً ، كثير الحياء حليماً واسع الصدر بطئ الغضب سريع الحلم لا يحمل لأحد ضغينة لسلامة صدره وسعة أخلاقه وتدقق الإيمان من أعماق قلبه ، لا يهاب أحداً إذا انتصر للحق وجادل لإعلاء القول الصدق بل لا زال قوالاً للحق لا يواجه أحداً بما يكره ولو آذاه ، مواظباً على قيام الليل ما رأى النوم فى الليل منذ ٣٥ خمس وثلاثين سنة إلا قليلاً وعلى قيام النهار ، كثير الإسماع والإقراء والتدريس والتصنيف والرد على المبتدعة .

أخذه لطريق الصوفية رضى الله عنهم :

أخذ الطريقة الخلوتية وهو إذ ذاك ابن ١٢ اثنى عشرة سنة عن إسماعيل بن الشيخ سليم بن الشيخ إسماعيل السباعى الخلوتى وبعد وفاته أخذ عن الشيخ محمود بن خليل وهو من بلده ومكث فى الذكر الأول لا إله إلا الله سنة غالبها صيام وقيام كما أمره الشيخ ثم انتقل إلى الاسم الثانى حتى أكمل عليه ذكر الأسماء السبعة الأصول وأطلعته الشيخ سليم بن الشيخ إسماعيل السباعى على رسالة الشيخ صالح السباعى " السرّ المكنم فى الاسم الأعظم " فقرأها عليه وهو عن أبيه ، وأذن له الشيخ محمود بن خليل بالأخذ عن بعض الشيوخ وعينه له . ثم أخذ الطريقة الشاذلية عن السيد محمد العقاد المتوفى بطنطا .

وأخذ الطريقة النقشبندية عن العارف الكامل شيخ الشيوخ الشيخ جودة النقشبندى المتوفى بمنيا القمح مديرية الشرقية ، والشيخ سلامة العزامى وهو خليفة الولى الكامل أعجوبة زمانه صاحب التربية بالحال والهمة والنظرة الشيخ محمد أمين الكردى النقشبندى مؤلف كتاب " تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب " ، وقد جمع فيه ما يكفى المريد فى التوحيد وفقه الشافعية

وأداب الطريق عامة وطريقتهم خاصة ، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد أمين البغدادي النقشبندی وأذن له بالتلقين في الطريق كلها .

وقد حبت إليه السياحة ، وكان حفظه الله يجوب البلدان ويجتمع بالعلماء وأهل الله حتى اجتمع في بعض بلدان المنوفية سنة ١٣٣٧ هـ سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بالسيد الشريف الشيخ أحمد السباعي من أولاد سيدي أبي السباع من أحواز مراکش ، وكان ذا صيت شهير في تلك البلاد معروفاً بالولاية والكرم فقراً في داره " الجواهر " و" الرماح " و" البغية " و" الجيش " وبعض " الخريدة " ، ثم أخذ عنه الإذن في هذه الطريقة التجانية المشرفة بشروطها المعروفة ، وسيدي أحمد السباعي أذنه الشيخ سيدي أحمد بناني كلا شيخ الجماعة بفاس بتلقين الأوراد وكذلك سيدي الحاج هو العقباني التلمساني وأطلق له سيدي الحاج الحسن المتكاثي تلميذ سيدي محمد^(١) وتلقى عن سيدي الحاج سعيد الدراركي عن الفقيه الكنسوسي .

وقد انتهى بالرجوع إلى سيدي أحمد التجاني الشنقيطي بن محمد بن إبراهيم صاحب كتاب "الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمديّة التجانية" المتوفى في بلبس سنة ١٣٤٥ هـ خمس وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية وهو خليفة سيدي الحاج الحسين الافراني وصاحبه الذي أطلق له الإطلاق التام ، وأخذ عن بعض أصحاب سيدي الشيخ الشنقيطي ومنهم الشيخ محمد أبو مذكور وعن سيدي البشير الزيتوني عن سيدي إبراهيم الرياحي ، وفي سنة ١٣٣٩ هـ تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية أملى كتاب " الحق في الحق والخلق " على بعض أصحابه وهو خلاصة عقائد أهل الحقيقة وكتب بلسانهم رضوان الله عليهم ، ثم أذن له جماعة في التقديم منهم سيدي محمد بن عبد الواحد التونسي وكان ذلك بالمسجد الحسيني ، وأذن له بعض أصحاب سيدي أحمد التجاني الشنقيطي بتلقين صلاة الفاتح لما أغلق بنية الاسم .

أما سيدي محمد عبد المالك بن سيدي الصغير بن سيدي محمد بن العلمي فقد اجتمع به سنة ١٣٤٢ هـ اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية وأذن له من طريق سيدي البشير ومشايجه العدة ، ثم كتب إلى صاحب الترجمة الشيخ ألفا هاشم التقديم وأرسله إليه ، وكذلك المقدم

١ - سيدي محمد سعيد أنظي .

الجليل الشريف الأصيل سيدى الطيب السّفيانى ، ثم أذن له أيضاً ابن سيدنا البشير سيدى محمد الكبير رضى الله عنه وأجازه بالإطلاق التام سنة ١٣٤٤ هـ أربع وأربعين وثلاثمائة وألف ، وفى سنة ٤٧ هـ سبع وأربعين فى شهر محرّم اجتمع بالشيخ ألفا هاشم ابن الأخ لسيدى عمر ابن سعيد الفوتى فأذنه بكل ما لديه الإذن فيه وأذنه صاحب الترجمة بكل ما لديه الإذن فيه كذلك ثم قال له الشيخ ألفا هاشم : " تبادلنا الإذن فهلمّ تبادل الثياب " ، ففعلا وأعطاه مسبحة الخاصة وأخذ صاحب الترجمة عنه ما لديه من شؤون الطريق والأسرار والمسائل وعهد إليه فى بعض كتبه المخطوطة منها كتاب فى الردّ على المسائل التى وقع النزاع بينه وبين علماء الوهابية فيها ، وكذلك سيدى الحاج عبد المالك فإنه أذن له بكل ما له الإذن فيه فى الروضة الشريفة وأمره أن يأذن له فيها عنده كذلك - ولا يعرف من أصحابه رضى الله عنه من عهد له فى الأسرار التى كانت لديه كما عهد له - ولقنه جلّ ما أخذ عن أشياخه جملة وتفصيلاً بحيث لا يشدّ عن ذلك إلا النادر ، وقد أخذ عنه الإذن فى سائر التراكيب وقرأ معه " المشاهد " للخليفة سيدى الحاج على حرازم برآده رضى الله عنه كلّها ، وشيئاً كثيراً من " الجامع " لسيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه وهو من أجداد سيدى عبد المالك و " روض المحبّ الفانى " له أيضاً ، وكلما كان يريد أن يعطى بعض الأسرار والحقائق لبعض الأحاب كان يأمره أن يعطيها لهم ، وقد صحبه فى أسفاره فى القطر المصرى والحجاز وفلسطين وشرق الأردن والشام ، وتوفى رحمه الله وهو عنه راض لله الحمد .

وعندما اجتمع العلامة سيدى أحمد سكيرج حفظه الله بصاحب الترجمة بمصر ذكر له أن سيدى محمد الكبير بن سيدى البشير رضى الله عنه قال له : " اكتب لنفسك ما شئت وهات لى أجيزك به ففعلت ، وإنى أقول لك كما قال لى " ، ففعل صاحب الترجمة كذلك ، ثم إن المترجم له رحل إلى السودان المصرى واجتمع فيه بشيوخ الطريقة وأخذ عنهم وأخذوا عنه ومنهم العلامة ولى الله بن ولىّ الله الشّيخ الدردير بن الخليفة واد دوليب وقد أخذ عن سيدى عمر بن سعيد الفوتى ، وعن والده الخليفة واد دوليب عن سيدى مولود فال ، وقد ذكر لصاحب

الترجمة أن له سنداً من الشيخ مباشرة بالطريق الروحانية وشرط عليه فيه أن لا يكذب أبداً وأن لا يخون الأمانة ولو فى شىء قليل من الحديد وأن لا يغضب لغير الله ، وقال له : " إذا فعلت ذلك فأنت منا وعلينا " ، ومنهم مولاي السيد إبراهيم بن الإمام القطب الوارث سيدى محمد المختار صاحب " مولد إنسان الكمال " و" الواردات " - وقد ترجم له فى الرسالة السادسة من رسائل جماعة الوحدة الإسلامية التجانية المطبوعة بالقطر المصرى بالجماميز رقم ٥٣ بمصر القاهرة - وهو عن الشيخ أبى آسية عن سيدى محمد بن المختار وهو عن أصحاب شيخنا رضى الله عنه ومنهم سيدى محمد السقاف عن الشيخ رضى الله عنه ، واجتمع صاحب الترجمة بالمعمر الشريف عبد المنعم بن أحمد - وترجمته فى الرسالة المتقدمة - وحدث أنه أخذ عن الشريف سيدى محمد الغالى مباشرة وأمره مشهور فى السودان المصرى .

ولصاحب الترجمة أسانيد فى الطريق كثيرة ، وفى هذا الكفاية .

أسانيده فى السنة المشرفة :

قد أخذ حفظه الله عن غير من تقدم عن الشيخ كمال الدين القاوقجى وأجازه بروايات والده الشيخ أبى المحاسن ، وأخذ عن محدث الشام الشيخ بدر الدين الدمشقى شيخ دار الحديث بدمشق وأسانيده معروفة مشهورة ويروى ما ثبت عن الأمير عن الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير عن والده الشيخ الأمير الكبير ، وأجازه الشيخ عبد الستار الهندى المكى ، والشيخ عبد الباقي الأنصارى المدنى ، والسيدة أمة الله بنت الحافظ عبد الغنى الدهلوى الهندى بمرويات والدها وأسانيده معروفة ، والسيد أبو الإقبال سيدى عبد الحى الكتانى وحيد عصره فى هذا الشأن ، وتدبج مع الكثيرين منهم العلامة سيدى محمد عبد السلام المنير السمنودى الواعظ بالقطر المصرى ، والشيخ عمر حمدان المكى .

وقد من الله على المترجم له حفظه الله بالحج فى رفقة من أصحاب الشيخ رضى الله عنه من صفوة أحبابه فى سنة ٤٦ هـ ست وأربعين من هذا القرن ، وكذلك فى سنة ٥٠ هـ خمسين

وكان فى صحبة سيدى محمد عبد المالك بن سيدى الصغير بن سيدى محمد بن العلمى رضى الله عنه ، وفى سنة ٥٤ هـ فى صحبة أخيه وخليفته سيدى اللقانى حفظه الله تعالى ، آمين .

وتفاوض مع علماء نجد وقد وصل معهم إلى وفاق حسن اقتنعوا فيه بعدم رمى أهل القبلة بالكفر بالتوسّل والاستغاثة متى كانت العقيدة سليمة من اعتقاد الألوهية والرّبوبية ، وأنّ مظاهر العبادة غير العبادة ، وأن هناك فرقاً بين سجود المشركين وسجود إخوة يوسف حيث كان سجود تحية وكان جائزاً فى شرعهم وحرّم فى شرعنا ولو كان ذلك كفراً لما أبيع فى شرع من الشرائع ، وأنعم الله عليه فنشر طريقتنا الأحمدية المحمّدية التجانية المشرفة بأئحاء الديار المصريّة .

مؤلفاته :

له رحمه الله مؤلّفات كثيرة منها " الحق فى الحق والخلق " وهو خلاصة رأس السّادة الصّوفية فى الحقائق ، ومنها " فصل المقال فيما يرفع الإذن فى الحال " ، ومنها " سبيل الكمال " وهو رسالتان إلى ألمانيا فى الإسلام ، ومنها " قصد السبيل فى الطريقة التجانية " ، ومنها " التعليق على الإفادة الأحمدية " ، ومنها " رسائل جماعة الوحدة الإسلامية " وقد صدر منها الآن ستة ٦ رسائل ومنها " رد أوهام القاديانية فى قوله تعالى : وخاتم النبيين " وهى طائفة تدعى لزعيمها غلام أحمد القاديانى التّبوّة ، ومنها " الحدّ الأوسط بين من فرط وبين من أفرط " وهو ردّ جملة الطوائف الزائغة ، ويبيّن أهل الحق بالدلائل الثابتة العقلية والنقلية ، وكتاب فى رؤية النّبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، ورسالة فى الردّ على ابن مايأبى الشنقيطى ، ورسالة فى بيان التّوسل وأقسامه وقد بيّن فيها أنّ من كفر من يتوسّل ويستغيث بصالح على غير وجه العبادة فهو مخطئ يلحقه الوعيد من النّبى صلى الله عليه وسلم فى من كفر أخاه المؤمن .

وفى هذه السنة المباركة التى هى سنة ١٣٥٦ هـ ست وخمسين وثلاثمائة وألف من الله تعالى على المترجم له بزيارة سيدنا رضى الله عنه وأولاده رضى الله عنهم ، فبارح الإسكندرية يوم الثلاثاء جمادى الثانية الموافق عشرة فى صحبة سيدى اللقانى^(٢) شقيق سيدى محمد عبد المالك بن العلمى رضى الله عنه فمر باليونان ومرسيليه ثم الجزائر^(٣) واجتمع فيها بأفاضل من أهل الطريق ونزل بمدينة المدية^(٤) عند العلامة الشيخ مصطفى الفخار المفتى^(٥) ، وطلب منه بعض الأحباب أن يلقى عليهم شيئاً من الحديث فألقى بها دروساً وتفاوض مع العلماء بها ، وكان لدى بعض الأفاضل إشكالات فى أمور من الطريقة فزال ذلك كله بعد أن بسط لهم المقصود فيها وأبان المشكل من المسائل ، وأن الشيخ رضى الله عنه قال جواباً لمن سأله : أيكذب عليك ؟ قال : "نعم إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه " ، وإن كان ما لا يرفع للشريعة مكذوب على الشيخ رضى الله عنه ولا يصح أن نؤاخذ إلا بما نعتقده نحن لا بما يفهم بعضهم فيما ينسب للشيخ رضى الله عنه ويزعمون أننا نعتقده فيما نحن من اعتقاده برءاء وربما لم يخطر على بالنا وما سمعناه إلا من المعترضين ، وقد اقتنع أولئك العلماء وتوثقت عرى المحبة بين أهل الطريق وبين غيرهم ، ثم سافر إلى الأغواط^(٦) وصحبه السيد الحاج عبد القادر الزواوى ورفيق سيدى عبد المالك وصاحبه ، واجتمع فى الأغواط بسيدى الطيب بن سيدى علاء^(٧) وأخيه سيدى أمهيدة ، والمقدم الكبير سيدى الحاج محمد التاوتى^(٨) المتوفى فى يوم الخميس تاريخ أربعة عشر من رمضان فى هذا العام وقد تدبج صاحب الترجمة معه وأخذ كل على الآخر وأذن صاحب الترجمة فى جميع تراكيب الاسم

٢ - مترجم له فى نهاية الرحلة .

٣ - بدأت الرحلة بالتحرك من الإسكندرية عبر البحر باتجاه الجزائر مروراً باليونان ثم ميناء مرسيليه الفرنسى فمدينة الجزائر العاصمة ، ثم إلى مدينة المدية جنوب العاصمة الجزائر ثم الاتجاه إلى الصحراء بالجنوب الأوسط من الجزائر إلى ولاية الأغواط فعين ماضى ومنها العودة إلى الجزائر العاصمة ثم الاتجاه غرباً إلى مدينة وهران الجزائرية على ساحل البحر الأبيض فمدينة وجدة المغربية الواقعة على الحدود المغربية الجزائرية فدخلوا إلى المغرب - فى رحلة مدونة بالتفصيل فى كتاب سيدى الشيخ محمد الحافظ التجانى المسمى " أيام فى زاوية سيدى أحمد التجانى بفاس " - ثم العودة إلى الجزائر ومنها جنوباً إلى الصحراء الجزائرية الشرقية إلى مدينة تماسين ثم إلى وادى سوف ثم دخولا إلى تونس ثم العودة إلى الجزائر العاصمة لركوب المركب والعودة إلى مصر .

٤ - ولاية تقع جنوب العاصمة الجزائر .

٥ - كان فى ذلك الوقت لكل ولاية جزائرية مفتى .

٦ - ولاية تقع فى الجنوب الغربى الأوسط من الجزائر وتبعد نحو ٦٠٠ كيلو متر عن العاصمة جنوباً .

٧ - الخليفة سيدى الطيب بن الخليفة سيدى علاء بن الخليفة سيدى أحمد عمار بن الخليفة سيدى محمد الحبيب بن الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنهم أجمعين .

٨ - من كبار رجال الطريقة التجانية بالأغواط .

الأعظم وهو صاحب سيدي أحمد العبدلاوي وسيدي علي بن عبد الرحمن وصاحب سيدي البشير^(٩) حفيد سيدنا رضى الله عنه وقد أجازته بالإطلاق وهو من خاصة الخاصة من حملة أسرار هذه الطريقة المشرفة ، ثم سافر مع سيدي اللقاني وسيدي الحاج عبد القادر الزواوي إلى عين ماضى وقد قال فيها من قصيدة :

حَدَّثُوا عَنْ غَرَامِي فَإِنِّي عَبْدَهَا الْمُضْنَى وَرِقَّ الْغَرَامِ

عَيْنَ مَاضِي يَا سَمَاءَ التَّجَلَّى يَا مَعِينَ الْفَيْضِ نَهْرَ السَّلَامِ

واجتمعوا بالتقى النقى سيدي ابن عمر^(١٠) بن سيدي محمد الكبير وأخيه سيدي أحمد وسيدي محمد^(١١) بن سيدي علال وأولاده وسيدي علي^(١٢) وأخيه سيدي محمد الحبيب أبناء سيدي محمود واحتفى بهم أبناء سيدنا رضى الله عنهم حفاوة لا تقدّر زادهم الله رفعة على رفعتهم فهم السادات للسادة ، ثم ألقى المترجم له حفظه الله بمسجد عين ماضى دروساً مع الأحباب وصلى الجمعة بهم وارتجل الخطبة ساعة ، ثم زاروا قصر كوردان قصر سيدي أحمد عمّار^(١٣) واجتمعوا بولده العارف القطب سيدي محمد الطاهر^(١٤) وأذن لهم وجدّد لهم وصحّ لهم منه الضمان والله الحمد .

وعاد إلى الجزائر^(١٥) يصحبه الحاج عبد القادر الزواوي ثم مرّاً بوهران^(١٦) فنزلاً عند سيدي الحاج بلقاسم بن كابو صاحب سيدي علي بن عبد الرحمن مفتى وهران ، ثم مرا بوجدة^(١٧) ،

-
- ٩ — الخليفة سيدي البشير بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١٠ — سيدي ابن عمر بن الخليفة سيدي محمد الكبير بن الخليفة سيدي البشير بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١١ — سيدي محمد البودالى بن الخليفة سيدي علال بن الخليفة سيدي أحمد عمار بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١٢ — الخليفة سيدي علي بن الخليفة سيدي محمود بن الخليفة سيدي البشير بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١٣ — الخليفة سيدي أحمد عمار بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١٤ — سيدي محمد الطاهر بن الخليفة سيدي أحمد عمار بن الخليفة سيدي محمد الحبيب بن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنهم أجمعين .
 - ١٥ — مدينة الجزائر العاصمة .
 - ١٦ — ولاية وهران إلى الغرب من العاصمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي ثاني أكبر الولايات الجزائرية بعد العاصمة .
 - ١٧ — مدينة وجدة المغربية وتقع بداخل المغرب ، وتبعد ١٠ كم عن الحدود الجزائرية ، وتبعد ١٥ كم عن ساحل البحر الأبيض المتوسط .

وكان وصوله إلى بلاد فاس العامرة صباح يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ١٣٥٦ هـ ست وخمسين
وثلاثمائة وألف الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٧ م سبوع وثلاثين وتسعمائة وألف حيث تشرّف
وصاحبه بزيارة القطب المكتوم والبرزخ المختوم أبى العباس مولانا أحمد التجانى ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولازال بها إلى الآن والحمد لله ، حفظه الله تعالى وكثّر أمثاله وبلغ
الجميع أمله والمرغوب ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فرغ من جمعه ضحى يوم الاثنين ١٨ ثمانية عشر من رمضان سنة ١٣٥٦ هـ ست وخمسين
وثلاثمائة وألف ، كتبه عبد ربه وأسير ذنبه من فى الذنوب غريق إدريس بن محمد العراقى^(١٨)
عامله بلطفه فى الدنيا ويوم التلقى ، آمين .

واجتمع فيها بكثير من العلماء وحضروا دروسه فى الأربعين النووية حيث قرأها فى الزاوية
الكبرى فى مواجهة شيخنا القطب المكتوم رضى الله عنه^(١٩) ، وقد صرّح بعض العلماء أن
مشكلات التوحيد زالت فى تلك الدّروس بحيث انكشف للحاضرين وجه الحق وغاية التحقيق
كأنهم رأوا الحقائق ولمسوها بأيديهم ، (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ)^(٢٠) .

١٨ — مترجم له بأخر الرحلة .

١٩ — قرأها رضى الله عنه بدون كتاب .

٢٠ — سورة الجمعة ، الآية ٤ .

الرحلة في مدينة تماسين

أقول^(٢١) : ولما حلَّ السيّد بزاوية الإمام التماسيني عليه سلام الله لاقاه سيدنا ومولانا الخليفة أحمد بن محمد حمّه التجاني التماسيني^(٢٢) عليهم سلام الله وجميع أبناء الشيخ بالتعظيم والإجلال والإكبار وأنزلوه المنزلة العليا وأكرموه غاية الإكرام حسب عوائدهم الحسنى مع أهل الفضل ، وقدموه للصلاة بهم ولصلاة الجمعة خطابة وصلاة ، ولم يبلغنا من رقى منبرهم من غير أسرتهم إلا هذا السيّد وسيدي إبراهيم بالى المدنى رحمه الله ، وقد جعلوا له حفلةً تكريميةً بسطح سيدنا القديم ، وعند وصولي للزاوية وجدتهم مجتمعين في الحفلة وهم جميع أبناء سيدنا الكائنين في ذلك الوقت بالزاوية كبيراً وصغيراً ، فشنفوا الأسماع بالمدائح الأحمديّة التجانية وترنّموا بالأناشيد الطرية الطرقية ومنها التّغزل الذي نسجه السيّد في رحلته هذه وهو قوله : " أدِرْ رَحِيقِي صِرْفاً .. إلخ " وقد قام بدور التّرنّم بلبل الزاوية سيدي الصّغير بن سيدي أحمد العروسيّ التجاني^(٢٣) وقد جود شيئاً من كلام الله ، وبعدها تمّت أدوار المدائح والأناشيد والتّجويد وجاء وقت الخطابة افتتح سيدنا ومولانا أحمد هذا الدّور بقوله :

" الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جرت عادة أهل الزاوية أن يحتفلوا بكلّ عظيم قدم لزاويتهم ويقولون الخطب في التنويه بمكانته ، وها هم أبناء الزاوية يريدون أن يخطبوا ويطلبون منكم الإذن ، والسّلام " ، فقال السيّد : " إنهم مأذونون " ، فقام الخطباء وهم : سيدي الصّادق بن سيدي أحمد العروسيّ التجاني ، وسيدي حقيّ محمد السايح بن سيدي البشير التجاني التماسيني ، وسيدي محمد البشير بن سيدي العيد التجاني ، والسيّد الطاهر بن المقدم حمدان الونيسيّ القسنطيني ، وسيدي الطيب بن السيّد السعيد بن المقدم سيدي الحاج الطاهر ، وعالم الزاوية أعنى المدرس بها السيّد أحمد بن عثمان الزبيديّ النفطي^(٢٤) المتخرج من جامع الزيتونة عمره الله بذكره ، والكلّ بترتيب الشيخ سيدنا ومولانا أحمد واحداً

٢١ - مترجم له بآخر الرحلة .

٢٢ - المقصود بالسيّد هو سيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني ، والمقصود بسيدنا هو سيدي أحمد بن سيدي محمد حمّه ابن سيدي محمد العيد بن سيدي الحاج على التماسيني رضى الله عنهم أجمعين ، وهو خليفة سيدي الحاج على التماسيني في ذلك الوقت .

٢٣ - كانت له رحلات بأفريقيا وأدخل جموعاً كبيرة للإسلام ، توفي سنة ١٩٧٨ م .

٢٤ - نسبة إلى مدينة نفطة التونسية الواقعة على الحدود الجزائرية .

بعد واحد ، ولما أكملوا ذلك قام السيد محمد الحافظ بفصاحته ولغته وتراكيبه وبديعه العالى قائلاً: " بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سادتى إنكم عظمتونى وشرفتمونى ورفعتمونى فوق مقامى ووصفتونى بصفاء النور وفى الحقيقة أن نورى منكم برق وإليكم يعود... " ، ثم نوّه بحقيقة الإمام التماسينى قائلاً: " إن الإمام التماسينى هو الوارث لجميع الكمالات التجانية إرثاً لم يكن لغيره من جميع الخلفاء لأن الخلفاء الذين ماتوا قبل موت الشيخ قد ظهرت بعدهم كمالات وتجددت فيضات وتلك الزيادة هى التى زادت فى مقام الإمام التماسينى ، ثم إننى جبت فى غالب الأقاليم واطلعت على غالب أسانيد رجال الطريقة فوجدتها كلها ترجع إلى الإمام التماسينى عليه سلام الله ، فهو رجل الطريقة على الإطلاق " ، ثم وضع يده اليمنى على رأس مولانا أحمد الخليفة الحالى وقال : " إن هذا السيد أعظم خليفة فى العالم لسيدنا الشيخ كذلك لأننى على حسب اطلاعى ومعرفتى بمراتب الخلفاء فى الوقت الحاضر لا أرى من توفرت فيه جميع الشروط وتحلّى بالأخلاق الموفية بالمراد غيره ، فإن وجدنا خليفة متّصفاً بكمال التقوى نجده تنقصه مرتبة علم الدين ، وإن وجدنا من تحلّى بمقام العلم والتقوى نراه غير خبير بشؤون الوقت ، وإن وجدنا من كان خبيراً بشؤون الوقت نراه مخللاً ببعض الآداب ، أمّا سيدنا هذا فإنه بحمد الله قد جمع بين التقوى والفهم وجمع بين صفاء السريرة ومكارم الأخلاق وبين الاطلاع التام والخبرة بشؤون الوقت وخوض غمارها معاً ، فهو الخريّت الماهر المتضلع من كل نادرة من نوادر الوقت والمتمكن من خبرة ما يليق بالوقت الحاضر ، فنطلب منك يا مولانا أحمد أن تقف وتنهض بأهل الطريقة وتصلح شؤونهم فقد تحتم عليك ذلك ووجب عليك دون الكل... " ، وقد أطل فى الخطبة إطناباً يعجزنى أن أشرح عشر معشاره حيث تفنن وبين المراتب وأعطى لكل موضوع ما يستحقه حتى أفضى به الحال فى قيامه للبرهان عن كمال تعاقدٍ بالجناب الأحمدي إلى الاستدلال ببعض قصيدة تجانية أنشأها بجاضرة عين ماضى ، ثم أفاض القول فى الأدعية الصالحة لأبناء سيدنا القطب المكتوم ولأبناء الإمام التماسينى ولكافة أصحاب سيدنا ، ثم قدم الآتاي^(٢٥) فشربنا وافترق الجمع على كمال السرور ، وقد حضرت درسه بين المغرب والعشاء بمسجد الزاوية الكبير وكذلك حضرت

٢٥ — هو الشاي الأخضر وهى كلمة مأخوذة من كلمة شاي باللغة الفرنسية ، وأهل هذه البلاد لا يشربون الشاي الأحمر ، وإنما يشربون الشاي الأخضر أو القهوة .

مجلسه بسطح سيدى على بن سيدى العيد التجانى ووقعت المذاكرات المتعددة المفيدة لكن الانقلابات الفكرية وتعب السفر وعدم الاستعداد والتأهب والتفرغ لذلك يذهب بكثير من المنقولات المسموعة من ذلك ، والغالب فى المذاكرات مسائل من التوحيد أدخلها فى ضمن معنى الحديث القدسى : ((لا زال عبدي... إلخ الحديث)) ، سأل الشيخ الطاهر بن عمارة الجريدى وسيدى حتى محمد السائح بن سيدى البشير التجانى التماسينى والمدرّس بالزاوية عن الفرق بين الذات والصفة فى مبحث الجواهر والأعراض ، فقابلته طابلة^(٢٦) عليها آلة الضوء فطلبها فلمّا مثلت بين يديه قال لهم : " هذا لوح كان نباتاً والتّبات كان تراباً والتراب كان شيئاً آخر والآخر آخر إلى نهاية دور الأكوان المتكوّنة من مبدأ كونها ، فالصفة هذا اللوح المسمّى طابلة وذاتها هى جميع تشكّلاتها فى جميع أدوارها الكونية فالإدراك فى الحقيقة لا يكون إلا للصفة ، وأما حقيقة الذات فلا يتصور إدراكها وهكذا الحكم فى ذات الأدمى وصفته وفى كل ذات من ذوات الكون ، فإذا تحقّقنا عجز الإنسان عن معرفة ذات كون من الأكوان الحادثة حتى ذات نفسه يلحقه العجز عن إدراكها فلا طمع فى إدراك ذات الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فالصفة هو اللوح فى صورة الطابلة وهو صورة الحشيش فى مرتبة النبات وصورة التراب قبل أن يصير نباتاً وهكذا لا تدرك الصفة إلا فى مرتبة واحدة ، وأما الذات فإنها الأطوار التى تطورت فيها الطابلة فى جميع أدوارها .. إلخ " ، ثم وقع البحث فى مثل قوله تعالى : (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)^(٢٧) كيف يكون المحو والإثبات والقدرة واحدة قديمة والعلم .. إلخ صفات الله ، قال لهم : " إن التبديل والتغيير والمحو والإثبات فى مرتبة الحوادث وبالنسبة إلينا ، وأما بالنسبة لمرتبة ذات الحقّ وأسمائه وصفاته كلّ شىء واحد ، فالفعل المضارع فى مثل قوله تعالى : (يَمْحُو) إن نسبته إلى الحوادث يتمشى عليه قانون العربية من كونه يقبل الحال والاستقبال وهو التغيير بنفسه وعدم الاستقرار على شىء واحد ، وأن من نسب الفعل لله لا يتمشى عليه هذا القانون بل يكون قابلاً لمرتبة واحدة وهو الأزل ، والمعنى حكم الله فى الأزل يحو ما يحى أى عدم وجوده وهو العدم ويثبت ما أراد إثباته وهو الوجود ، ففى مرتبة

٢٦ - الطاولة ، وتنطق فى الجزائر : الطابلة .

٢٧ - سورة الرعد ، الآية ٣٩ .

الحوادث ترتبط الأشياء بالأسباب والمسببات والعلة والمعلولات ، وأما ذات الحق وصفاته وأسمائه فلا علة ولا سبب...".

ثم ركب السيد سيارة خصوصية صحبة الحاج اللقاني بن سيدى الصغير بن العلمى إلى العلية - الأحجيرة - لزيارة ضريح سيدى محمد الحبيب بن الإمام التماسينى عليه سلام الله ومن كان هناك من الأشراف ثم توجهوا لبلد العلية لزيارة رفيقه سيدى عبد المالك وأبيه وجده وأفراد العائلة البوطية وبقية الأشراف ورجع إلى تماسين ، حاصله أنه رأى العجب من أدب أبناء الإمام التماسينى ، وقد أجازه سيدنا إجازة مطلقة عامة ، فهنيئاً له بها ، وقد أجازه فى بعض الأسماء والمسميات أحد أفراد عائلة الإمام التماسينى بإشارة بعضهم ، والآذن كبير السن عنده الإذن القديم من خلفاء الزاوية وغيرهم معتقدين أنه أولى بالإذن ، وهو مصادم لقانون الطريقة فى وقت يراه المشير هو الأولى معتمداً على المقرر فى دواوين الطريقة من كون المقدم لا يجوز له أن يأذن وفى البلد من هو أقدم منه وهى حجة عليه لو فهم معناها ، والمراد بالمقدم الأول هو صاحب تلك البلد وعليه مدارها والثانى طراً طروراً عليه ، أما الخليفة بتماسين فإن الكلمة اتفقت عليه ظاهراً وباطناً والآذن نفسه من الذين بايعوه على السمع والطاعة ، وبهذا كانت جميع مراتبهم منظورة فى مرتبته ، وما يقول المشير والمعتقد لهذا لما ولى الخلافة سيدى محمد بن سيدى محمد العيد التجانى وبعض أعمامه الآخذين على جده الإمام التماسينى موجودون ، هل قدحت خلافته فى مراتبهم لكونه صغيراً وهم أقدم منه هجراً وأخذاً ؟ وهل فزع الناس إليهم فى الأخذ وتركوه ؟ اللهم إنك أبهمت علينا الأمر وغطيته على غيرنا فأرشدنا إلى الصراط المستقيم ، ويجب علينا الكف عن الخوض فى هذا الموضوع فإننا طرقتاه قديماً ولم تنفع المفاهمة التى وقعت ، والشيخ هو الكفيل بأولاده وهو المتولى أمرهم ، وأما نحن والله ما أردنا إلا بيان الحق إن وافقناه والهداية إلى طريق الحق ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم إن سيدنا ومولانا أحمد بن مولانا حمّه الخليفة الحالى لما رآه أهلاً أجازته ولم يلتفت إلى شئ يصده عن ذلك لكمال السيد فى نظره ، وقد شهد له بكمال المقام والفتح وقال : " لا شك فى كمال معرفته بالله " ، وها هو نص إجازته له :

يَسْمُ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَحْمُودِ بِنِعْمِهِ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ بِكَرَمِهِ الْمُتَوَدِّدِ إِلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ بِإِمْدَادِهِ الْمُتَعَبِّدِ إِلَيْهِ بِهَدَايَتِهِ وَإِسْنَادِهِ ، رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَهَ الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ سَيِّدِ الْكُونَ وَبَارِيهِ الْمَفِيضِ عَلَيْهِ بِوَابِلِ كَرَمِهِ الْمَغْدُوقِ أْبْرَزِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ بِرَحْمَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَسِيرِهِ كَيْفَمَا شَاءَ بِحِكْمَتِهِ ، الرَّحْمَنُ بِجَلَائِلِ النِّعَمِ عَلَيْهِ بِلَطْفِهِ الرَّحِيمِ بِخَصَائِصِ الْكِرَامَةِ بِعَطْفِهِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمَ لَا مَلِكَ وَلَا مَالِكَ إِلَّا جَلَالُهُ وَجَمَالُهُ وَلَا كَرَمَ إِلَّا كَرَمُهُ وَإِفْضَالُهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْعَدْلِ وَالِاخْتِصَاصِ وَالْفَضْلِ يَوْمَ ظُهُورِ الْحَقَائِقِ وَصَدَقَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ يَوْمَ تَجَلَّى فِيهِ الرَّبُّوبِيَّةُ بِكُلِّ أَسْمَائِهَا يَسُودُ فِيهِ الْحَقُّ الصَّادِقُ إِيَّاكَ نُعْبَدُ وَنُخَضِعُ وَنُخَنَعُ وَنُخْشَعُ وَأَنْى لَنَا كُنْهَ ذَلِكَ إِلَّا بِنُورِ مِنْ حَنَانِكَ وَعَطْفَةٍ مِنْ قَبُولِكَ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ طَالِبِينَ مِنْ بَابِ فَضْلِكَ أَفْضَلِيَّتِكَ أَنْ تَمَدَّنَا بِإِعَانَةٍ وَنُورِ مِنْ مَشْكَاتِكَ هَدِيكَ حَتَّى نَتَّبِعَ مِنْ نُبْرَاسِ مِصْبَاحِهَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِى لَا اِعْوَجَاجَ فِيهِ فَلَا نَلْتَفِتُ إِلَى بِنَايَاتِ مَنْهُ وَهُوَ : صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْأَفْضَلِيَّةِ وَالِاخْتِصَاصِ فَهَمُ النَّبِيِّونَ وَالصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَثَبْتْنَا فِيهِ حَتَّى تَخْلُصَ وَجْهَتْنَا إِلَيْكَ يَوْمَ تَرْضَى عَلَيْنَا رِضَاءً لَا سَخَطَ بَعْدَهُ وَجَنَّبْنَا بِسَابِقِ سَعَادَتِكَ صِرَاطَ غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ لِجَهْلِهِمْ بِسُلْطَانِ جَبْرُوتِكَ بِحُكْمِ الشَّقَاءِ السَّابِقِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فِى مَجَاهِلِ الْغَوَايَةِ لَا نَقْطَعُ أَنْوَارَ الْمَلَّةِ عَلَيْهِمْ وَلِتَوْقِفَ عَنَانَ التَّفَكِيرِ الصَّادِقِ الَّذِى يُمَيِّزُ النَّتَائِجَ الصَّحِيحَةَ مِنَ السَّقِيمَةِ وَيُجِبُّ تَجَلَّى شَمُوسِ الْمَعَارِفِ عَلَيْهِمْ بِسَحْبِ الْإِعْرَاضِ لِتَصْعَدَ أَبْجَرَةُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَتُحَكَّمَ الظَّوَاهِرَ الْحَسِّيَّةَ وَغُرُورَ الْبَوَاعِثِ الْحَلْمِيَّةِ ، اللَّهُمَّ صَدِّقْ رِجَاءَنَا فِيكَ وَحَقِّقْ آمَالَنا وَتَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَرْحَمُ مَنْ أَنْ تَرُدَّ السَّائِلِينَ ، آمِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ .

وبعد فإن سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أسدى إلينا وأولانا الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن محمد العيد التجاني شيخ الطريقة التجانية بزواية تماسين والمتلقى لسند أسلافه بالحقيقة والتمكين المجاز بأعلى سند معنعناً مسلسلاً صحيحاً قد أذن وأجاز وأطلق بكله الأستاذ الأكبر والشيخ الأشهر حامل لواء الطريقة وناصر كتيبة الحقيقة سيدي محمد الحافظ بدر الديار المصرية ومُظهر بها الأنوار المحمدية الأحمديّة إجازة مطلقة في التقديم وفي الأوراد اللازمة والاختيارية ذكراً وتلقيناً ويقدم لمثلها تنزلاً أبدياً بكل ما في جواهر المعاني وما ثبت عن الشيخ صحة ، ما عدا أوراد السلوك من الفاتحة بنية كذا وهو ومتلواته والخلوات والأسماء الإدريسية بالخصوصية العليا فإن ذلك منوط بالتربية والاستسلام فلا تكتبه الأقلام ولا يؤخذ بالأحلام ولا ينقل من الأوراق بل يؤخذ من الأحداق ويؤخذ من الأرواح بالأذواق بالصريح لا بالإشارة والتلويح .

ولقد عنّ لنا أن نذكر نبذة وجمالاً تناسب المقام ، اعلم وفق الله الجميع وأمدنا بمحض فضله بسابقة السعادة أن هذه الطريقة الأحمديّة التجانية بروزها من الحقيقة المحمدية ومن الحقيقة الأحمديّة والجذبة الأحمديّة من الدائرة الأفضلية بمننه سبحانه وبمحض كرمه لا بعمل واستحقاق وأتّى لعمل أن يدرك كنه هذه الدرجات ، فكلّ من ثابر على هذا الورد المحمّدي المعلوم بسندٍ صحيح مفهوم وصدق وعده ووقف عند أوامره لم يتجاوز حدّه مراعيّاً حرمة الشيخ فيه وفي أصحابه موفياً حقّ المرتبة في جميع أحبابه لا بدّ أن يفتح الله عليه ويجذبه بجذبة الاصطفاء إليه وعداً صادقاً من سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه ، ولا سيّما إذا ألزم نفسه بصلاة الفاتح ورداً معيّناً في أوقات ثلاث الصبح والمساء وجوف الليل متبعاً وصايا الشيخ في جواهر المعاني فتلك درج الترقيات فيبعث الله له أحياناً ناصحاً من أهل طريقته فيأخذ بمجامع قلبه فتضمحلّ البشرية من تفكيره فما يرى منه إلا خصوصية محضة فيأخذ بيده ويوصله إلى مأمّنه ، ومهما مرید تعلق بالبشرية أقعدته بأرض الشبهات واستحلّت النفس مرعى الشّهوات وعسر عليها

الفظام فشبت في رضاع الهوى ورتعت في رياض الغرور الزائلة فظنت السراب ماء والأرض سماء فخرت حالها ومآلها ، ومهما مر يد عاتب نفسه ونسب إليها القصور وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه وأنه لا يصل إلى مولاه إلا بواسطة ممن قربه واجتبه فتجرد من كل محيط ومحيط واغتسل بماء التوبة والاستغفار وأحرم بالتلبية أمام الواحد القهار قيض الله له مطوفاً يدعوه ويدعو له ويريه المناسك فيدخل بيت ربه بدليل ويصلى في مقام من دخله كان آمناً ويبلغ المنى ويتم حجه إلى هنا فينادى : فأرضيتوني ورضيت عنكم ، وذلك آخر ما يتمنى قد علم كل أناس مشربهم ولكل مشرقهم ومغربهم وحصول ذلك بالأذان الذي نادى الأرواح قبل وجود الأشباح بقوله : (وَأُذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ)^(٢٨) .

هذا وإن الإمام الأكبر والملاذ الأفخر والعلم الأشهر ختم الأولياء ومعد الخاصة العليا أبا العباس أحمد بن محمد التجاني أمدنا الله من فيضه وسقانا من بجره بأعظم الأواني لما شد لعالم الروح الرحال وأذن بدر وجوده بالترحال أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنصيب خليفة على كرسي منصفته الشريفة على خصوص الطريقة وعمومها ولتوضيح معالمها ورسومها ، أرسل بالليل إلى الخليفين الكبيرين أحدهما سيدي محمود التونسي وثانيهما سيدي الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني الشريف الحسنى ثم الينبعي يصحبهما المقدمان الكبيران وهما سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري وسيدي أحمد بن سليمان التاغزوتي وأفراد آخر ، فلما مثلوا بين يديه تكلم الشيخ إلى سيدي الحاج علي المذكور وقال له : " إني راحل وهذا الأمر لا بد يتلقاه حي عن حي ، وقد أهلك الله له فتلقاه " ، فبكى المخاطب واعتذر ، فأجابه الشيخ بقوله : " أباي الله ورسوله إلا أنت " ، فأوصاه بداره وأهله وأولاده وصية مطلقة أبدية وبرفعهم إلى الصحراء وأطلق له الإطلاق العام التام الذي لا تقييد يعقبه - وقد كان في حياته مقيداً - ثم أمره بالخروج من البلد هو وصاحبه وقال لهما : " لو حضرتما لوفاتي فلا تتنصعا بشيء ، كل شيء يدخل معي " ، فخرجا مسرعين إلى قريتين ورجعا بعد دفنه كما هو مذكور ، ثم انتصب للتربية بالسلوك وانتفع به المليك والمملوك فظهرت كرامته وترقت في المعالي مقاماته فكان سنده في

الطريقة هو المخصص وهو الصحيح السالم من العلة والتنقيص وهو المنهل لكل وارد وأعذب من الماء السلسيل البارد ، فتخرج عليه جماعة أقطاب فهم أعلام فى كل قطر والدعاء عندهم مستجاب ، فتلميذه الأكبر هو أستاذنا وقدوتنا وسيدنا وابن سيدنا المولى محمد الحبيب بن القطب المكتوم رباه بالهمة والحال وبالخلوة والسلوك فتبحر منه وذلك مذكور فى كتابنا " نزهة الناظر " ، وسند داره أسنده إطلافاً وعموماً بكل ما تقتضى المرتبة من التصريف إلى أوسط أولاده وإمامهم فى حياته الأستاذ الأكبر سيدنا محمد العيد فكان يقدمه للصلاة على العموم ، وإمامه بالخصوص ابنه الذى يليه سيدى محمد الصغير فلحقن كلاهما خلافة عامة بتربية تامة تصریحاً وأمرهما بكنتم ذلك حال حياة ابن سيدنا المذكور أدباً معه ، ولما جاء سيدنا المذكور للتعزية فى شيخه المذكور ولترتيب الزاوية وجد تنظيماً فوق الرضا فتمم للأستاذ كل التتميم فى المجموع العمومى وحضر ذلك وجوه الأحاب وخواص الطريقة من الأبعاد والأقارب ، وقال : " أشهد الله وأشهد أن هذا الرجل - يعنى شيخه - هو حى حياة حسية يسمع ما يقال له ويحيب " فتبحر الأستاذ الخليفة وسمت رتبته المنيفة ، فمكث ثلاثاً وثلاثين سنة وانتفع به كل قصره وعصره ، فانتصب بعده أخوه المذكور فكان عالماً أشهر وأستاذاً أظهر فتبحر وسلك ولبث سبعة عشر سنة ثم لحق سلفه فخلف أخاه الأستاذ أم عمر ذا المزايا الجمّة فما برح أن لحق بسلفه بعد سنة ونصف فتخلف المجدد الأكبر والمربى الأشهر سيدنا محمد حمّه ابن الخليفة الأول سيدنا محمد العيد بسند أبيه العام فكان المعبر عنه بسيدى الحاج على مربى السالكين وحجة المهتدين انتفعت به الطريقة انتفاع الأرض بالأمطار فتخلف عليه كثير من الناس من الحاضر والبادى فتلقى مكانته السماء نجلة الغطريف سيدنا محمد البشير ذو المكانة القعساء فعمّ وابله الروابى والبطاح وهمى سيله كل منهج وساح ففيضه لم يقف عند حدّه ولا يتقيد بتقيد ، منحة من الله على عباده وعطفة إليهم إلى بلوغ مراده غنيمة بغير قتال وعطيّة بغير سؤال ، فله الحمد والشكر وله المنة وجميل الذكر ، فبصر الأعمى وأورق اليابس من غرس الحمى ففاضت الأسرار وارتوت الأرواح من وابل الأنوار وخص وعم قبالة أسرته ومن حوته حجرته ومن صحبه ربح ومن

تبعه نجح فلحق جماعة ولحق سلفه مرضياً عنه الجمهور ، فتخلف نجله السيد الأستاذ محمد العيد بالفيض الإلهى الذى لا يحصره التقييد فمكث على مشرب سميّه جده الأعلى فسكن تحت الخمول والحكمة التى هى غاية المأمول حتى دعاه داعى الالتحاق بمن تقدّمه فلحق وأطلق وأجاز صاحب هاته الكلمات بما لقن من آباءه السّادات فهو سند معنعن مسلسل ، وروى أحمد بن محمد بن محمد العيد بن على التماسينى عن ابن أخيه الأستاذ محمد العيد رواية أهل البيت ، يروى الابن عن أبيه عن جدّه .

الإسناد : روى الأستاذ محمد البشير بن الأستاذ محمد حمّه عن خاله الأكبر سيدنا محمد البشير ابن سيدنا محمد الحبيب بن القطب المكتوم وسيدنا محمد البشير المذكور عن سيدنا محمد الصغير ابن سيدنا الحاج على التماسينى أخذ ذلك بالخلوة والسلوك سنة كاملة فى ١٣٠١ هـ وسيدنا محمد الصغير المذكور عن أبيه وشيخه سيدنا الحاج على وذلك من خط يده فى إجازته لبعض خاصّته .

التلقى لسندنا من أهله الله له هو أن الآخذ تموت نفسه أمام المأخوذ عنه حتى لا يرى أن أحداً فى الوجود بأسره عنده نبذة معه وأن معطيه هو كعبة الأسرار ومعدن الأنوار فبذلك تنزل عاطفة المعطى ويخصّه بما أمده الله به ، والسند عندنا غير معتنى بكتابه قبل كما قدّمنا بل يؤخذ من الأحداق ولقد سئل الشيخ سيدى الحاج على التماسينى قرب وفاته : " من خليفتك من بعدك ؟ " فأجاب : " لا يسأل عنه بل هو كالبطيخ^(٢٩) يفوح فى البحيرة رائحته تدلّ عليه " ، وفى الآخر صار السند كتابةً حتى يكون حجّة فى دعواه لما كثرت الأعلام وصار على المورد ازديحام .

هذا ما وجدته من الإجازة بخطّ سيدى حقى محمد السائح بن سيدى البشير التجانى التماسينى ولقد تخلف فى أصل الإجازة التى بيد صاحبها تمام البحث فى الإطلاق والخلافة .
سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين .

٢٩ - ويطلق لفظ البطيخ فى الجزائر على فاكهة الشام ، ويطلق على فاكهة البطيخ لفظ الدلاعة .

الرحلة فى وادى سوف وصولاً للعاصمة الجزائر

وعلى الساعتين والنصف من يوم الجمعة ١٣ يناير سنة ١٩٣٨ م وصل الشيخ سيدى محمد الحافظ بن عبد اللطيف المصرى إلى دار سيدى لخضر بن سيدى محمد العروسى التجانى التماسينى صحبة الخليفة الأعظم مولانا أحمد بن مولانا محمد التجانى التماسينى فشرّبوا الآتاي والقهوة هناك بداره الجديدة وجدّدوا الوضوء وصلّوا الظهر جماعة وقرءوا فى المعقبات عشراً من صلاة الفاتح لما أغلق لأنه ظهر جمعة وهاته الخاصية - أعنى العشر بعد الجمعة من هاته الصلاة - أسسها خلفاء رجال تماسين ليدرك العامة الذين لا قدرة لهم على أنظمة الأذكار خاصية النظرة ، ثم تكلم سيدى محمد الحافظ فى شىء من معنى الحديث القدسى الوارد فى مناداة المنادى يوم القيامة : ((أين المتحابّون فى الله)) وأعطى الحديث بعض ما له باختصار ، ثم ركبوا السيّارة ووصلوا إلى قمار وقت صلاة العصر فلاقاهم من الواد^(٣٠) باش آغا عبد العزيز^(٣١) ، والحاج الأمين ابن الشيخ الإمام^(٣٢) ، والمقدم سيدى محمد العيد بن بنسالم^(٣٣) ، والقايد المختار من كوينين^(٣٤) ، وقد وقع الازدحام العظيم وقت قدومه من الرجال والنساء وسائر الطبقات بحيث اجتمعت الخلائق بكبيرها وصغيرها نحو الزاوية لملاقة السيد ولولا لطف الله لوقع ما وقع ، ولقد خاطبت الصّادق فكتور قمار^(٣٥) ليخبرنى على قدوم السادات ، فقال لى: " لا خبر عندى " ، فقلت له : " ابعث من يكشف الخبر " ، فخرج من إدارة البريد والتفت يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً إلا امرأة فرنسية أمام المكتب الفرنسى ، حاصله أنهم وقت نزولهم توجّهوا للمسجد حيناً - أعنى مسجد زاوية قمار - وصلوا العصر وذكروا الوظيفة والهيلة ، وبعد التمام توجه الجميع لجنان سيدى السايح لمناولة الفطور والتّزول والخطبة كلها هناك واحدة تلو الأخرى بسرعة إلى أن دهمهم الليل صلوا المغرب وركبوا فى السيارة ليقدّموا إلى

٣٠ - ولاية وادى سوف بالصحراء الشرقية الجزائرية الوسطى على الحدود مع تونس ، وتتطق فى الجزائر : الواد .

٣١ - حاكم ولاية الوادى ، والباش آغا كلمة تركية تعنى حاكم .

٣٢ - شيخ الطريقة القادرية .

٣٣ - مقدم زاوية البياضة بالوادى .

٣٤ - عمدة بلدية كوينين بولاية الوادى ، والقايد تعنى عمدة .

٣٥ - مدينة قمار بولاية الوادى ، وفكتور تعنى مسئول مركز التليفون .

الواد فى ذلك الوقت لأنهم يريدون مقابلة الحاكم حيث يريد السفر صباح السبت وكان ينتظرهم فى مكتبه بالبيرة^(٣٦) إلى وقت العشاء ولما أيس منهم دخل لداره .

أما سيدنا وضيفه المعظم فإنهم وقفت بهم السيارة أمام الزاوية بالواد فأنزلناهم فى الدار الكبيرة ذات المقصورتين وأكثرنا لهم النار للتدفئة لقوة البرد ، ولما استراحوا وشربوا الآتى رفض سيدنا مقابلة الحاكم فى ذلك الوقت إلى الصباح ، وبعد صلاة العشاء توجه الجميع لمناولة العشاء بدار باش آغا وقد ضمت المائدة أبناء سيدى سالم^(٣٧) والشيخ المدنى بن محمد العربى^(٣٨) ، وسى محمد بن حمد المدرس بالواد ، والمقدم العيد بن سيدى بنسالم^(٣٩) ، وسيدنا وضيفه المعظم ، والقايد المختار ، والقايد الأخضر بن الهلالى قايد قمار^(٤٠) ، وبعد العشاء وقعت مذاكرة علمية بين المدرسين بالواد والشيخ سيدى محمد الحافظ غالبها فى شؤون الطريقين^(٤١) ونذورهم وأورادهم ومعتقداتهم .

أما الشيخ المدنى فقد أذعن وسلم وما كان جلوسه بين يدي سيدى محمد الحافظ فى وقت الإلقاء وغيره إلا تلميذاً متعلماً خاضعاً لمرتبة المعلم خضوع الراجحين ، وأما الأستاذ محمد بن حمد فقد خالف وعارض المعارضات المتعددة وكلما أنكر شيئاً جاوبه السيد بجواب صاف كاف واف فلم يقنعه شئ وراوغ حتى وصل لدرجة أنكر عليه فيها عوام الحاضرين فى المجلس وفهموا أنه عاند ولم يسلم والصواب مع سيدى محمد الحافظ ، ولما كان السيد محمد الحافظ خريئاً ماهراً فى المناظرات وخبير متمهراً فى جلب الأدلة حيث كانت مهنته فى حياته المناظرات فإنه لم يتغير مركز عقله ولم يتحول من القائلة ولم يغضب بل تمادى على المفاهمة السلمية مع المنكر حتى سلم له جبراً لوقوفه وعجزه عن الحيل التى يستتر بها ظاهراً على رؤوس الأشهاد وأذعن إذعاناً صريحاً وقال له : " الصواب معك " .

٣٦ - تعنى المكتب باللغة الفرنسية .

٣٧ - الطريقة الرحمانية العزوزية .

٣٨ - شيخ الطريقة القادرية .

٣٩ - المقدم بالطريقة الرحمانية العزوزية .

٤٠ - عمدة مدينة قمار بولاية الوادى .

٤١ - أهل الطرق الصوفية .

ولما كانت مخالفاته متعددة - أعنى الشيخ بن حمد - فاعتقد الحاضرون أن تسليمه لم يكن إلا جدلياً صورياً وبقي مصرأً على اعتراضاته ، وما رجعوا إلى الزاوية إلا على الساعة الحادية عشر فوق الفتور لسيدنا ونام بثيابه من غير نزعها وغطى نفسه ببرنسه فى وسط الدار الكبيرة التى نحن فيها ، والحال أننا فرشنا له فى المقصورة التى على يمين الداخل وحضر للتفريش وللغلبة خالف الموضوع ، وكذلك المقدم سى العيد سهر معنا قليلاً ، وانفردنا وحدنا أنا والمقدم والحاج الماحى وسيدى محمد الحافظ ، والصادق محسى رزاق كلفناه بتمسيد الأستاذ الأعظم وهو نائم ليزول بعض الفتور .

وتحدثنا عن بعض أحوال الطريقة ومنها الكلام على الجواهر فأخبرنا أن الرواية بالمعنى ما فيها ضرر وأن التنقيح الذى ذكره الرياحى فى " مبرد الصوارم والأسنة " ما هو إلا من جهة الوزن العربى وتراتبه ، وزدناه لليقين أن النسخة الأولى من الجواهر التى صحح فيها سيدنا بخط يده والنسخة بخط المؤلف نفسه أنها عند سيدنا بالزاوية فقد دل تصحيح الشيخ على أنها صحيحة مروية عنه لا تلحقها ريبة ، فتأسف عن رؤيتها ، فقال له الشيخ : " إنها بزاوية عين البيضاء^(٤٢) ، وإن شاء الله يلحقونها لك بقسنطينة^(٤٣) لتراها " ، ولا أدرى لحقته أم لا لأنه مسرع فى سفره ؟ ثم تحدثنا على إنكار السيد سكيرج " للكنز المدفون " أعنى اختصار المشاهد ، فقال لنا : " حقيقة ينكر ذلك وينكر المشاهد ، والحال أنه ينكر ظهور ذلك وطبعه " ، فقلنا له : "إننا نعرف الكنز بخط الشيخ نفسه فى خزانة خلفاء تماسين وكذلك المشاهد غالب أصول أوراقه التى بخط سيدى الحاج على حرازم أنها محفوظة بعين ماضى وقد رأينا منها شيئاً " ، فنوه بمكانة سكيرج وقال لنا : " كل فن من فنون العلم يتقنه ويقرؤه على ظهر قلبه " ، فقلنا له : " ما تقول فى البعقلى مقدم زاوية الدار البيضاء ؟ " فقال : " ما أرى لأصحاب سيدنا إلا الكمال ولا نقيم على واحد منهم ميزاناً " ، ثم تذاكرنا فى شأن اللامية^(٤٤) وطلبت منه بعض الإطناب ، فقال لى : "إن الزمان قصير ولى شؤون كثيرة وعادتى الاختصار فى المكاتبات ولا بد من حل

٤٢ - زاوية عين البيضاء بولاية أم البواقى بشرق الجزائر وهى تابعة لإشراف زاوية تماسين .

٤٣ - ولاية قسنطينة بشرق الجزائر .

٤٤ - اللامية لسيدى ابن عبيدة التشيتى الشنقيطى .

مشاكلها اللغوية وإظهار معانيها وما وراء ذلك لمن أراد الإطناب " ، فقلت له : " استعن بكتاب الوسيط فى ذكر مراحل السيد فى رحلته لأنه عدد جميع المعاطن وأسماء المداشر والآبار التى يمر بها من تشيت إلى فاس وصاحب الوسيط ذكر كثيراً من ذلك " ، ثم قلت له : " عندى ورقات نقلتهم من الوسيط فى هذا المعنى إن وجدتهم تصحبهم معك " ، فتعجّب من الاعتناء بالرحلة من جانبى ومن كمال الاستعداد ، ولما وجدتهم قدّمتهم له وحملهم فى أدبائه ، ووقعت بيننا مباحثات فى بعض أورايد الطريقة وعن الاسم والطى فوجدناه كغيره من المطلعين غير المتمهرين فى هذا الميدان فتتويبه فى سر الطريقة غلب إدراكه فيها ، فمقامه كمقام سمّيه القائل: " وجدنا الله أقرب من كل شئ " لما ذكروا له الخواص .

حاصله أننا فى تلك الليلة تناولنا كثيراً من الشؤون التى كنا نتمنى الكلام عليها ، والحاج الماحى غلبه النوم ، وقد طلبت منهم الإذن فى الانصراف على الساعة الثالثة وقمت وتركته هو والمقدم بعدما نام المقدم ساعة يريد أن يذكر وظيفة اليوم الفارط .

وفى الصباح قدمت لهم القهوة والحليب والقُنْدِيل^(٤٥) ، ووجدت الشيخ إبراهيم بن العربى قدم لهم مثل ذلك وبدل القُنْدِيل أغرايف^(٤٦) والعسل وكذلك الباش عدل سى مسعود بن محمد الصالح قدم مثل ذلك وكذلك باش آغا ، واجتمع عليهم صباحاً طائفة وقت شراب القهوة وهم أصحاب الأشربة^(٤٧) والأخضر الاعوينى والشيخ المدنى وامتلات الدار ، وقد اتفقنا فى ذلك الوقت على أن يكون الدرس بالسوق وشرقاً من صومعة سيدى سالم بسوق الإبل حيث لم يكن بالوادى موضعاً يسع الناس مثل ذلك ، وعلى الساعة العاشرة ذهبنا جميعاً فحضر من الخلق ما لم أراه فى المجتمعات العظيمة عدد من الآلاف لا يحصى كثرتهم إلا الله ، فجلس سيدنا الخليفة والمقدم سى العيد وباش آغا والقياد^(٤٨) والقاضى وعدوله وأولاد سيدى سالم بأجمعهم والحاج الأمين فى وسط الحلقة ، ووسطهم سيدى محمد الحافظ متلفناً للقبلة وأمامه كرسى لم

٤٥ - نوع من الفطائر يقدم مع الفطور .

٤٦ - أرغفة الخبز .

٤٧ - الذين قدموا الشراب .

٤٨ - جمع قايد : العمدة .

يجلس عليه بل وقف وأمر الناس بالجلوس فجلسوا ، وهى من كراماته لأن كثرتهم وتزاحمهم على الاطلاع لا ينظمهم حتى يجلسوا جميعاً .

ثم استفتح بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطأطأ برأسه إلى الأرض وسكت سكوتاً طويلاً حتى ظنّ الناس - حيث لم يتعودوا طبعه - أنه أرتج عليه ثم رفع رأسه وافتتح الدرس بحديث الإسلام والإيمان... إلخ مدة ثلاثة سوايع ونصف ولم يخرج من قوله : " شهادة أن لا إله إلا الله " ، وقد أظهر العجائب والغرائب فى شرح كلمة التوحيد ، ومن المناسبات التى جرت فى هذا الميدان فسّر قوله تعالى : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)^(٤٩) قائلاً أول الكلام على معناها مما معناه : " أيها الحاضرون إننى أريد أن تكشف لكم عما ظهر به علماء وقتكم فى عمالتكم من الكفريات والإلحاد والمروق من الدين والضلال المبين وما ذلك إلا لنكرهم على أولياء الله ومعاداتهم لهم وما أرادوا بذلك إلا الحيلولة بينكم وبين أولياء الله فأداهم هذا التيار المظلم إلى تفسير الآيات القرآنية على غير وجهها وبيانها على غير معناها اللغوى والشرعى الذى هو سبب النزول " ، فأعطى الآية حقها من غالب ما تستحقّه من الوجوه إلى أن قال : " إن الله عزّ وجلّ حكى فى الآية عن المشركين الذين جعلوا شركاء لله فعبدوهم وادّعوا أنهم يتقرّبون بعبادتهم لله ، وأتباع الأولياء ومحبوهم والمعتقدون فيهم أنهم يعظمونهم ويحبونهم لا يعبدونهم ، فالعبادة عبادة والمحبة محبة ، وقد طلبنا الشرع بمحبّتهم حسب الحديث القدسى وهو : ((من عادى لى ولياً... إلخ الحديث)) ، فمفهوم منطوق العداوة هى المحبة ففى طى النهى عن عداوتهم الأمر بمحبّتهم ، فهل يسوغ لعالم ينسب الإشراف لمؤمن اتبع أمر مولاه بمحبته لأوليائه ؟ وهل يسوغ تفسير المحبة بالعبادة ؟ فإن قلت : إنهم تغالوا فى محبّتهم غُلواً أوصلهم للمساواة لمحبة الله أو تجاوزها ، فنقول : هذا تهكم على العباد وإلزامهم غير مذهبهم بمحبّتهم للأولياء دون محبّتهم لله ، فلو سألت أدنى درجة فى الفهم وأدنى عاص من عامة المؤمنين : عن الفرق بين الله وبين عباده ؟ لتبرأ وصرّح بأن الله أشرف

وأعلى من مخلوقاته وأن محبته للأولياء دون محبته لله ، والفرق بين المؤمن والمشرك هو ما ذكر الحق جلّت عظمته فى قوله : (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)^(٥٠) .

حاصله أن الأقسام ثلاثة :

١ - محبة الأولياء دون محبة الله وهى المطلوبة وهى عمل جميع الأمة المحمدية .

٢ - ومحبة كمحبة الله .

٣ - ومحبة فوق محبة الله كفر وإشراك .

وهكذا القول فى التعظيم والإجلال " ، ثم التفت لجميع الحاضرين وقال لهم : " هل فهمتم وسلمتم هذا ؟ " ، قالوا بأجمعهم : " سلّمنا وفهمنا " ، ولم يبدِ واحد خلافاً فى هذا ولا بحثاً ولا انتقاداً ولا سؤالاً لا من العصريين ولا من الطرقيين ، حيث لمس الكل الحكم فى الموضوع لمساً باليد .

ثم قال لهم بعد هذا : " إن الذى حرّف القرآن ففسّره بغير وجهه للتّضليل هو المارق من الدّين والكافر بخلاف الدّين أحبّوا الأولياء بحسب أمر ربهم لهم بمحبّتهم فى القرآن ، فالمتّبع للقرآن مؤمن والمخالف له كافر ، فظهر من هذا أن الذى كفر الأمة هو الكافر " ، ثم قال لهم : " ومن المسائل التى أريد أن أنبهكم عليها وهى التى حكم فيها علماء العصر بتضليل المحبّين لأولياء الله تعالى - والحال أنهم هم الضالّون المضلّون - هى مسألة الوسيلة ، فاعتقاد العصريين أنها شرك أو ضلال لمن عمل بها باطل ، فالعامل بها متبع لصريح الكتاب والسنة ومنكرها منكر للكتاب والسنة ، أصلها من القرآن قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)^(٥١) ، كلّ المفسّرين اتفقوا أن الوسيلة فى الآية هى التّقرب إلى الله بالعبادة وهى معلومة ومنهم من أدخل التّوسّل بأولياء الله وأنبيائه فى ضمن الآية صريحاً ، وعلى كلّ حال إنّ علماء العصر المنكرين لها قد غفلوا وغابوا عن معنى الآية ولم يدروا أن من أعظم التّقربات إلى الله هو حبّ الأولياء المأمور بها شرعاً كتاباً وسنةً وهى عبادة ، ومحبّتهم عبارة عن تعظيم

٥٠ - سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

٥١ - سورة المائدة ، الآية ٣٥ .

مرتبهم بما انطبقت عليه من أنواع المعارف ، فالولى كله مرتبة ربّانية ومحبته محبة لتلك المرتبة ، فالعارف بالله دائرة تعبدات وبهذا الاعتبار المتوسل بالولىّ لله أى متقرب إليه بعبادته لا غير " .

هنا سأله السيد الطيّب بن الحاج عبد الله قائلاً له : " إن سلّمنا التّوسّل بالأنبياء والأولياء لا نسلم أن تكون الوسيلة بالميت بل يكون التّوسّل بالأحياء كاستسقاء عمر بالعبّاس فإنه أى عمر لما رأى النّبي صلى الله عليه وسلم انتقل للدّار الآخرة استسقى بعمّه ولو رأى جواز الوسيلة بالميت لاستسقى بالنّبي صلى الله عليه وسلم " ، فقال له مولانا محمد الحافظ قدّست أسرارته : " هذه غفلة منكم لأن الاستسقاء لا يكون إلا بالحي لا شتماله على أدعية شفاهية أمام العامة وصلاة .. إلخ ، وهذا فى قانون الشّرع والعادة لا يكون إلا من الأحياء ، وقد ورد فى صحيح البخارى أن رجلاً من الصحابة أصيب فى عينه فمشى لقبر النّبي صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاء فشفاه الله " ، فقال له السيد الطيب : " إن سلّمنا هذا لوروده يكون خاصاً بالأنبياء " ، فقال له : " هو حكم عام فكما جوزوه فى حق الأنبياء يكون جوازه فى الأولياء بطريق التبعية والإرث ، ثم إن المجوزين لها لم ينصّوا على منعه فى غير الأنبياء بل سكتوا والمسكوت عنه حسب القواعد الأصوليّة مباح غير ممنوع " ، فقال له السيد الطيب : " نريد منك دليلاً وارداً فى الشّرع " ، فقال الأستاذ : " ما ذكرته لك وهو السّكوت دليل ، ولو انبهم عليك وجه الاستدلال به ها هو دليل آخر وهو أمر النّبي صلى الله عليه وسلم المذكور فى الأحاديث الصّحيحة بالسلام بين المؤمنين على إخوانهم فى المقابر وأخبر أنهم يسمعون ويردون السلام وهو فى الشّرع الأمان من مخاوف الدارين ، فقد توسلوا بسلامهم عليهم من تلك المخاوف صراحاً لصحة الحديث ولحصول الأمان من مخاوف الدنيا والآخرة .

حاصله أن التقرب والتوسل والتوجه بالأولياء على ثلاثة أقسام :

١ - إما أن يقال للولى : اسأل لى من الله قضاء حاجتى .

٢ - أو يقول : اللهم إنى توسلت إليك بسيدى فلان اقض حاجتى .

فهذان القسمان جائزان شرعاً كتاباً وسنةً .

٣ - والقسم الثالث أن يقول للولى مباشرة : يا سيدى فلان اقض لى حاجتى ، فإن كان يريد أنه من أقرب الخلق إلى حضرة الله مجاب الدعوة مقبول عنده إن طلب منه قضاء حاجته يقضيها الله لذلك القرب فهو جائز ملحوق بالمرتبتين المتقدمتين ، وإن طلب منه المباشرة وهو يعتقد أنه فاعل بذاته خالق لذلك الفعل المطلوب فهو كافر وما أظن أحداً من كافة المتلمذين على أولياء الله أن يعتقدوا ذلك أو يعظموا الولى ويحبوه أعظم من محبة الله وتعظيمه كما قدمنا " ، ثم أطنب فى إخلاص توحيد مرتبة الألوهية والذات العلية إطناباً خارقاً للعادة ما سمعناه من أفواه المشايخ ولا وافيناه فى الكتب ، وقد عجزنا عن حصره واستيفائه مع أنه لكثرة تكراره للمسائل لو فرضنا الإنسان بيده قلم والكاغد^(٥٢) لكتب وأحصى جميع ما يتلفظ به ، لكن الغفلة التى اعترتنا جعلتنا غير مستعدين لذلك ففاتنا علم كثير ، ثم إن الجماعة المجتمعين شوّش على أفكارهم السيد الطيب لكثرة أسئلته وإمضاء كثير من الزمن الكثير فى مباحثته مع السيد مع أنهم كلهم تصوروا جميع الأجوبة التى جاوبه بها وصارت مفهومة عندهم من جملة معلوماتهم فضجّوا وقلقوا وتكلموا له باللسنة حادة وأرادوا الفتك به ، ثم خاطبه آغا الأعشاش^(٥٣) وكان قريباً منه ببذاءة وسبه وأراد إخراجه من المجمع ، فقال له الشيخ سيدى محمد الحافظ : " إننى نحب المباحثة ولا نحب الخروج من موضوع لم نوفه حقه من المباحثات وحتى يكون التسليم النهائى والإذعان التام من الباحث السائل عن مشاكل دينه ، وأى فائدة إن خرجنا من موضوع لم نعطه حقه من التمحيص إلى غيره ؟ فترجو منكم أن يكون مجلسنا مجلس حرية لكل من حضره من المؤمنين " ، ثم التفت للسيد الطيب وقال له : " يا أستاذ إننى والله الحمد من أعظم المتضلعين فى علم الحديث ، وقد وصلت فى قراءة صحيح البخارى بشرحه إلى سبع وثلاثين ختمة ، وبحمد الله أفتى فى المذاهب الأربعة فاختر أى محدث من طرق المحدثين أجابك بصحيح ما ورد فى صحيحه فيما نحن بصدده " ، فقال له السيد الطيب : " بارك الله فىك ، إننى

٥٢ - الورق .

٥٣ - الأعشاش هو أكبر حى فى ولاية الوادى .

فهمت وسلمت ولم يبق في ذهني إشكال في ذلك كله " ، فقال له : " قل من صميم قلبك سلمت وتبت وفهمت " ، فقال مثل ذلك .

ولما رأى الجماعة الشيخ سيدي محمد الحافظ طال به الوقوف ولم يقبل الجلوس وأكثر الكلام حتى وقعت له البحوحة^(٥٤) ، قالوا له : " قرب للظل أولى من مقابلة الشمس " ، فقال لهم : "تعاهدت معها أن لا تضرنى ، وهي من الأشياء التي تعودت بها في بلادى " .

ثم سأله عثمان بن أحمد شكريبه ومصباح ولد بنت مصباح بن سيدي سالم من سكان الطريف^(٥٥) والإمام بجامعة^(٥٦) عن حصر عدد الأذكار وعن اتخاذ السبحة وعن القراءة في الجنائز إثر الأموات وعن الجهر في ذلك ؟ فقال لهم : " دليل الذكر في السبحة حديث أم سلمة التي دخل عليها صلى الله عليه وسلم ووجد بين يديها نوى التمر تسبح الله به ومعلوم أنه لو كان ممنوعاً لأنها صلى الله عليه وسلم عن ذلك لعدم سكوته عن الحرام وهو المشرع وهي لو لم ترد حصر العدد لما جعلت النوى بل تسبح من غير حصر ولا تشغل أصابعها بذلك ، ومن أصحابه صلى الله عليه وسلم من اتخذ الحصى بدل النوى ولا عار على من اتخذ أصناف العود كما نحن عليه " ، وأدخل يده إلى جيبه وأخرج سبحة من كوك وقال : " كما اتخذت أنا هذه ، فلا فرق من جهة الطهارة بين النواة والحصى والعود وما زدنا على الصحابة إلا الخيط الجامع ، إن ظهر لكم تركه تركناه وهو من طريق الحكمة أحسن ، وأما دليل حصر العدد فكما قدمنا ، ولقوة الحجّة أن حصر العدد في العبادات مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : ((أكلفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا)) ، فقوله : تطيقون هو الحصر بعينه لأن الإنسان لا بد أن تنتهي طاقته ومقدرته إلى حد معلوم ، ولهذا الحديث نظائر من غيره من الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم)) ، فقدرة الاستطاعة معلوم مضبوط ، فالزمن أو العدد كحصر وضبط الطاقة الإنسانية هذا هو دليل حصر العدد للأوراد ، وأما القراءة خلف الجنائز والأوراد فهي جائزة ولم يمنعها الشرع فهي

٥٤ - خشونة في الصوت وغلظ .

٥٥ - بلدية تابعة لولاية الوادي .

٥٦ - مركز تابع لولاية الوادي .

داخلة فى عموم الأمر العام ، فالأوراد والقراءة والذى يفهمه المحدثون من ذلك غير ما يفهمه المتفقهون ، فإن الشارع لم ينه عن عبادة الله فى وقت من الأوقات لأن الحق جلت عظمته ما خلق الخلق إلا للعبادة " .

فقال له السائلون : " إنهم على عهدہ صلى الله عليه وسلم كانوا يخرجون سكوتاً " ، فتبسم الأستاذ ابتسامة دلت على امتلائه بالعلم الصحيح ونظره إلى بعض المغرورين من وحي علماء الضلال نظر المتعجب المستغرب ، فقال لهم : " مذهبكم مالكى ، خبرونى إن صليتكم الظهر أو العصر بالجهر ما يلزمكم من التشيع هل صلاتكم صحيحة أو بطلت بالجهر فى مقام السر ؟ " فقالوا له : " لا تبطل ، وإنما هى زيادة يلزمها السجود لا غير " ، فقال لهم : " كذلك نقول لمن حضر الجنائز : عليك بالإسرار ، وإن جهر فلا نقول له : إنك خرجت من الدين أو فعلت المنكر فى دين الله ونغلظ عليه القول حتى يصير كأنه نقص من دين الله أو زاد فيه ، والحال أن ذنبه طراً فى الهيئة لا فى الأصل " .

فقالوا له : " ما تقول فى الذكر جماعة ؟ " ، فقال لهم : " مطلوب شرعاً حيث وردت الأحاديث المتعددة بإجماع الصحابة للقراءة وهو ذكر الله ، وغالب الآيات القرآنية التى وردت فى الذكر لا ترد إلا بصيغة الجمع كقوله تعالى : (وَلَا تُطْرِدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... الآية)^(٥٧) ، وكقوله جلّ وعزّ : (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لِأَتْلِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ... الآية)^(٥٨) " .

فقالوا له : " ما تقول فى الجهر وأن ذلك الذكر والجهرية يزاحم المصلين ؟ " ، فقال لهم : " كذلك الجهر بالذكر ورد وأنه من عمل الصحابة كقول ابن عمر وابن عباس أنهم كانوا لا ينصرفون من الصلاة إلا ويسمع لهم دوى عظيم .. إلخ ما ورد فى الآثار الصحيحة ، أما الصلاة فالواجب فى المساجد التى بها الصلاة الراتبه جماعة فيتركون وقت أداء الراتبه جماعة لا غير ، وأما المصلون فرادى لا يعتبرهم الدّاكر فهو وهم على حدّ سواء ، ولأى سبب تجوزون دروس

٥٧ - سورة الأنعام ، الآية ٥٢ .

٥٨ - سورة النور ، الآيات ٣٦ ، ٣٧ .

العلم مع أنها لها دوىّ وجهر ، مع أن الذكر والعلم على حدّ سواء بل الذكر أشرف فلأنه اسم الذات والعلم وصفها فكلاهما جائز ، أما دليل الذكر في المساجد فهي الآية التي تقدّمت بعينها ومن قال : إن المراد بذكر الاسم هي قرابة الصلّوات ، نقول : إن الله عدد مراتب المتعبّادات بالمسجد بذكر اسم الله ثم قال في آخرها : (وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ..إِلخ الآية) ، فالذكر وحده والصلّاة وحدها فلا إشكال في ذلك " .

وحاصل ما وقع في ذلك الدرس المنور أن الجميع أذعن ولم يبق منكر من سائر الطبقات ، فتنوّرت القلوب وتضافرت ، فكنت ترى القادريّ بجنبك والرحمانيّ بجنبك الآخر وأنت تجانيّ والكلّ يتبادلون ودّ الإخاء بلطافة كأنّ الناس كانوا في حجابٍ غليظٍ حجبهم عن نور إيمانهم فلما كشف الغطاء بالدرس العظيم صفت المرأة ولم يبق إلا الوئام ، ومن كرامات السيد المدرّس أن رجلاً من أرباب الأحوال زعق زعقةً مزعجةً في أثناء الدرس وقام عليه حاله وهو من أصحاب سيدنا العزازلة اسمه الحاج عبد الله ، وكانت عادته إن تحرّك له الحال لا يسكن من لغطه إلّا بعد زمان وبمشقة فالتفت إليه السيّد وأشار إليه بيده : " اسكن أحسن الله إليك لا تفسد علينا درسنا " ، فسكن حاله في الحين ولم يعد له بعد ذلك .

قال بعض الحاضرين من غير الأحمديين : " إن هذا المدرس لا شك أنه من أولياء الله الكبار مع كماله في مرتبة العلم لأنه جعل شيئاً عجز عنه الأولون والآخرين وهو جمعه لرؤساء الطريقة التجانية والقادرية والرحمانية في صعيد واحد وفي درس واحد وعلى موائد واحدة ، فهذا من الشئ الذي ما كتنا نظنّه أو يخطر ببالنا فهذا أعظم رجل في العالم وأعلمه " ، وكنت ترى في ذلك المجتمع الناس يقبلون سبحتى وسبحة الحاج على النوبلى ويصرحون بأننا إخوان أنعم الله علينا بمن جمع بيننا وفهمنا بديننا الحق ، ثم دعا السيد دعاءً جميلاً لائقاً بالمقام .

وطلب منا أبناء الأسرة السالمية شرب الشاهي^(٥٩) فدخلنا داراً معدةً لذلك بعلمائنا ومشايخنا وقيادنا ، ووجدت طابلة كبيرة مملوءة بالمشروبات الشهية والحلويات اللذيذة وقلوب الكل راقصة من قوة الفرح الذي جمع الأضداد بزوال العناد .

وعلى الساعة الواحدة توجهنا من زاوية سالم العايب إلى مناولة الغداء بدار السيد باش آغا عبد العزيز ، ثم رجعنا لزاوية سيدنا وصلينا الظهر والعصر وفى ذلك الوقت قدم إبراهيم اللموشى من بسكرة^(٦٠) إلى الواد فى سيارة البريد يصحبه أخوه محمود من العرفجى^(٦١) فركب الشيخ والضيف المكرم صحبة المقدم فى سيارة سيدنا إلى زاوية سيدى بن بنسالم^(٦٢) وشربوا الآتاي وخطب الخطيب بما يناسب الوقت والمقام ورجعوا بعد الغروب ، ووقت العشاء توجه الجميع لمناولة العشاء بزاوية سالم العايب ، ولما أكملنا الأكل وغسلنا أيدينا دخل علينا مدرس الواد سيدى محمد بن حمد وسلم على الكلّ سلاماً طيباً وخصّ الشيخ وسيدى محمد الحافظ بمزيد الاهتمام وجلس حذو سيدى محمد الحافظ جلوس الأدباء فتحيلنا منه التوبة والتّدم والإذعان وكان الأمر كذلك ، وتذاكر معه فى حديث نبوى فقال له : " ذكره البخارى إن كانت عندكم نسخة إيتونى بها " ، فأتوه بالمختصر فلم يجدها وفى أثناء المذاكرة ما رأينا من السيد محمد ابن حمد إلا أنه تلميذ بين يدي معلمه بأدب ووقار واحتشام .

فدخل علينا أحد كتاب البيرو قائلًا : " إن رحاب الزاوية داخلاً وخارجاً امتلاً بالخلق والكل يترقب من الشيخ الحافظ الكلام ، إمّا يخرج لهم يتكلّم أو يهجمون عليكم والمحلّ لا يسع إلاّ القليل " ، فاتفق الرأى على الخروج لرحاب الزاوية واختصار الكلام حيث حصل التعب المفرط للأستاذ لتوالى الخطب والدروس أثر السفر وركوب السيارة فخرجنا وجاءوا له بطابطة ركبها وجلس عليها فى مكان مرتفع وترى جميع الرحاب المحيط بالزاوية داخلاً وخارجاً وجميع المرتفعات من السطوح المحدقة بها كلها مملوءة بالرجال يترقبون كلام السيد ، وكان الحامى للسيد من قوة الازدحام من خروجه من الدار التى تناول بها العشاء إلى أن أجلسه على الطابطة إلى أن توجه لمبيته بزاوية سيدنا هو وسيدى أمعمر بن سيدى البخارى التجانى التماسينى لأنه

٦٠ — ولاية بسكرة ، تقع شمال ولاية الوادى من الصحراء الجزائرية .

٦١ — قرية فى بلدية الرقبية بولاية الوادى .

٦٢ — الزاوية العزوزية الرحمانية .

قدم فى ذلك اليوم صحبة عمّه سيدى العيد من قمار يريدان التّوجّه صباح الأحد إلى توزر^(٦٣) وقد تناولوا طعام العشاء معنا فى زاوية سالم العايب .

فافتتح السيد الدّرس بالحديث القدسى وهو : ((لا يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالتّوافل... إلخ الحديث)) ، وقد وقع له التّطويل كما وقع فى التّهار ولم يوفّ الحديث بمعناه لكثرة معانيه وقوة معلومات السيّد التى تخرجه عن الموضوع جبراً لفيضان الفهوم فتكلم الأستاذ بالكلام الغريب فى معنى هذا الحديث من طريق مراتب القوم وعلومهم ومراتبهم فقال : " كل ذلك يؤخذ من هذا فقوله : ((كنت سمعه.. إلخ)) أى أن العارف لقوة قربه وكمال عرفانه يفنى فى الله فيكون الله هو المتولّى أمره ولذلك يورثه كلمة التكوين وتظهر منه الخوارق المدهشة لأنه بجميع ما انطبقت عليه مرتبته شأن من شؤون الله " ، ثم قال فى معنى ((ولئن سألتني لأعطينه)) : " إن معناه : لا يردُّ للعارف مطلباً إن كان فى مرتبته الباطنة للوعد المحقق ، ومن ذلك الخوارق التى ظهرت على يد عمر كقصّة نهاوند ، وكالصّحابى الذى أقسم على الله على وقوع شىء فوق كما أقسم عليه فقال فى حقه صلى الله عليه وسلم : ((إن من عباد الله عباداً من لو أقسم على الله لأبره .. إلخ الحديث)) أو كما قال " ، ثم تكلم السيد بكلام عظيم من جهة الأولياء قائلاً : " العجب كل العجب ممن ينكر على من قال الله فى حقه أنه يكون سمعه وبصره ويده ورجله.. إلخ ، فهذا لا شك مطرود مخذول شقى ملعون مغضوب عليه بلا شك ، فما يسعنا إلّا محبتهم وتعظيمهم واحترامهم وتقديسهم " .

قال لهم : " إننى ما جئت من بلادٍ بعيدةٍ إلّا لزيارة سيدى أحمد التجانى وسيدى الحاج على وإننى أحبّكم جميعاً يا أهل هذا الوطن حيث أقامكم الله فى أرض هى مظهر هذين السيّدين فبودى أقبل كلّ فرد منكم بانفراد حبّاً فيكم وشوقاً إليكم لجيرتكم لهؤلاء المظاهر العالية " ، وختم درسه بأدعية صالحة ، أما سيدى محمد بن حمد والله ما رأيته إلّا جالساً قرب المقدّم العيد فى الدرس وهو يتمايل من طرب الإملاء ونشوة الإلقاء ، والشيخ المدنى ما نراه إلّا باكياً من قوة الخشوع ودموعه منحدره إلى الأرض .

ثم توجهنا إلى زاوية سيدنا على الساعة الحادية عشر من ليلة الأحد وقد كان اتفاقهم قبل ذلك أن السيد يتوجه صباح يوم الأحد في سيارة البريد إلى توزر ولما اعترض الحاج الأمين اتفقوا على التوجه صباح الاثنين فقررنا مناولة فطور يوم الأحد بزواية الحاج الأمين^(٦٤) وشراب الشاهى بعد رجوعهم بدار آغا الأعشاش وما يكون رواحهم إلى قمار إلا ليلة الاثنين ، فتكلمنا مع سيدى السايح بن سيدى محمد العروسى التجانى التماسينى فى التلفون ، واكترى سيدنا سيارة خصوصية من الايطالى الذى بقاراج الواد بعدد سبعمائة فرنك لتحمل سيدى محمد الحافظ ورفيقه إلى توزر وأمره ليأتى على الساعة السابعة صباح الاثنين لزواية قمار والسفر يكون على الساعة الثامنة بحول الله تعالى ، ولما وصلنا لزواية سيدنا أما الشيخ سيدنا ومولانا أحمد فإنه لقوة الفتور نام بالمقصورة وكذلك المقدم والحاج الماحى .

وبقيت أنا وإبراهيم اللموشى فتحركت لى طبيعة البسط فقلت : " والله لا أدع البساط صاف من الهزل متمحضاً للجعد ليكون النقص عنواناً على كمال الكمال " ، فقلت للأستاذ : " بلغنى أنك تريد الزواج " ، فقال لى : " نعم إننى نريد الولادة وامرأتى لا تلد وقد أمرنى سيدى الطيب السفينانى بذلك فلا خلاف " ، فقلت له : " عدم الولادة منك أو من الحليلة ؟ " ، فقال : " منها لأنها أكبر منى سنّاً وقد كانت ذات ثروة وعالمة بشؤون الدين وكثيراً ما أعانتنى على مرتبتى العلمية لقوة معلوماتها لا سيّما فى فن الشعر فكثيراً ما تصلح غلطى فيه لتمهرها فى ذلك الفن " .

فقلت له : " لا شك إنها هى المقرضة لرسالة السيد سكيرج باسم تجانية " ، فقال : " نعم " ، فقلت له : " هذه أشرف من حوراء ، والله لو كنت بذلك لما أدخلت عليها غيرها " ، فقال لى : "إنها تطيعنى ولا تعصينى وإنها امرأة صالحة ، ومن خلالها إذا صلت الظهر لا تبارح مجلس الصلاة وهى عاكفة على أورادها إلى صلاة العشاء ، ومن خلالها المكاشفة لكل شئ ، فقد كانت تخبرنى بمن سيحل بنا ضيفاً فتقول لى : اليوم يأتينا ضيف صفته كذا وكذا ، فيكون كما قالت ، ومن نوادر كشفها أننا ذات يوم كنا فى بلد من بلدان الشام ساكنين داراً من دورها فقالت لى

يوماً : اليومَ نرحل من هذه الدّار ، فقلت لها : ما الموجب لذلك ؟ ، قالت : لا بدّ من ذلك ، وأقسمت بالله أنها لا تبيت بها الليلة ، فقلت لها : الأمر سهل كَفَرى عن يمينك ، فقالت : والله لا أكفّر ، فوقع لى غيظ من مخالفتها وتغيّرت من ذلك وأضمرت مخالفتها ومعاكستها بعدم الخروج من الدار ، وإذا بالماء الواصل للدار انقطع حيناً لفساد الآلة الموصلة والماء يلزمننا كثيراً للطبخ والوضوء ونحن غرباء لا غنى لنا عن ذلك لعدم من يقيمنا بذلك فاضطررنا للخروج من الدار فى نفس ذلك الأمر واكثرينا داراً أخرى وتمّ كلامها وبرّت فى يمينها " ، ثم قال لى : "خاطبتنى فتاة مصريّة قبل اليوم بجواب عن الزواج فما رجعت لها وهذا شئ سهل ، وإياك أن تعتقد أن زواجى للشهوة فهذا لا يكون وما هو إلا امتثال لسيدى الطيب السفيانى وقصد الولادة " ، ثم قال لى : " إن الإيمان فى وطنكم ، والله أنى نتمنى من صميم الفؤاد لو رزقنى الله أولاداً وربيتهم فى بلادكم ليكونوا مسلمين فإن الإسلام فى أرض مصر قد قلّ ولم يبق فيهم إلا هتك الدّين ، ترى علماء الدّين ورجال الشرع الإسلامى فى مسارح التمثيل ، وزوجة المراغى شيخ الجامع الأزهر تخرج سافرةً كأنها أوربية وكثير من علماء الدين لا يصلّون وعندهم التساهل فى الأحكام الشرعيّة واختلط الملاحد بالمصلح والعالم بالجاهل والصالح بالطالح ولم يبق ما يشكر من جهة الدين الإسلامى ، سأل إنسان محبّ الدين الخطيب صاحب مجلّة الفتح وكان رفيقه : مالك لا تصلّى ؟ فقال له محب الدين الخطيب : إننى مشغول بشؤون المسلمين ! " .

وفى هاته الليلة تذاكرنا فى شأنك^(٦٥) بحضرة سيدنا والمقدّم فى حق الإجازة العلمية والطريقة وقلنا لسيدنا : " إن الشيخ التجانى قال : لا يكون هذا إلا بمشورة سيدنا " ، فوقع الإذن التام والوافق على ذلك .

وفى تلك الليلة تباحثنا فى بعض شؤون الطريقة فوجدنا تضلّع الرّجل فى العلوم الدّينية وتمكنه من صفاء السريرة أقوى وأكثر وأعظم من معرفته لأحكام الطريقة الأهمدية حيث الشأن فيها يرجع إلى الوسائط ، ووسائط السيد من جهة عين ماضى وتماسين هما سيدى عبد المالك بن سيدى الصغير العلمى وسيدى أحمد سكيرج ، وأنت تعرف مشرب السيدين فالسيد سكيرج

٦٥ — المخاطب هو سيدى التجانى بن محمد السائح نصيرى وله ترجمة بأخر الرحلة .

وإن تبخر في جميع الفنون الشرعية والطرقية فاستناده فيها على سيدي أحمد العبدلاوى وهو لا إحاطة له بما عليه مدار الزاويتين ، وأما سيدي عبد المالك فهو وإن كان متمكناً في التعلق بأهل الزاويتين وله الرابطة الصحيحة برجال الحضرتين يفوته العلم الكثير بميزان الطريقة ومراتب أسرارها وأذكارها ، وطالما أردت البحث مع السيد في هذا الميدان لأبين له المآخذ والمشارب وأفضل له بعض المواقف التي لا يأتي بها العلم ولا التعب ولا صفاء السريرة بل هي شؤون مصفاة من رجال حضرة عين ماضى وحضرة تماسين ما سطرها كتاب وما يعقلها إلا أولوا الألباب فتحول بينى وبينه العظمة العلمية وكمال الصفاء الباطنى وظنه الجميل المطلق العارى عن الميزان عمن استند إليهم فى أخذ شؤون الطريق فكان يكفينى منه تسليمه وصفائه وكمال اعتقاده فى الكل ، فلو علم السيد أن سيدي أحمد سكيرج بما له من الكمالات العلمية المتنوعة والمؤلفات المفيدة التجانية والجهاد العنيف بقلمه الذى ملأ العالم ، وكذلك سيدي عبد المالك بما له من فناء ذاته مدة حياته فى نشر الطريقة فى جميع الأقاليم إلى أن لاقى الله ما هما إلا من صبية الدارين وما حصل لهما من طريق الختم التجانى إلا شم الرايحة لا غير ، فمال إلى والتفت إلى جس نبضى ، أما حجابيه بسكيرج فلكونه أخذ الطريقة عن رجل متضلع متمكن وهو الشيخ أحمد العبدلاوى الذى له المشاركة فى الحضرتين لملازمته لسيدى محمد التجانى وإطلاعه على آثار والده كاطلاعه على الكناش المكتوم ولأخذه عن الإمام التماسينى الذى هو أعظم خليفة لسيدنا أزلاً وأبداً ولكون السيد سكيرج فاسى العلم والتربية الظاهرة والباطنة وأخذ من صندوق سيدنا على يد المقدم الأكبر سيدي الطيب السفينانى ما لم يكن عند غيره ، وحجابه بسيدى عبد المالك لاستغراق عمره فى خدمة الطريقة ورجالها الكرام وحزمه فى التبشير حزمياً وأوصله لهجر الوالد والولد والزوجة والوطن إلى أن توفاه الله تعالى والمكاتيب الذى بيده من رجال عين ماضى الشاهدة له بكمال الإذن والرضا عنه فهذا الذى جعل الشيخ سيدي محمد الحافظ ينظر للسيدىين وما أحرز عليه منهما نظر المستميت الذى لا يتحول ولا يطلب البحث فيما ورد بحضرتيه من السيدين ، ولو حضر مجلساً من مجالس مولانا محمد الكبير التجانى مثلاً

وسمع نواذر الحكم الصادرة من إنسان لم يبارح قرية عين ماضى ولم يتربّ إلا فى مدرسة والده مولانا محمد البشير وكذلك لو نظره والده المقدّس نظرة تجانيّة من غير كلام وانصبغ انصباعاً عرفانياً لم ينله بالكّد طول حياته ، وكذلك لو سمع ما بيديه مولانا محمد البشير ابن مولانا حمّه فى مجالسه العمومية من غرائب علوم الطريقة التجانية التى لا توجد فى كنانيش الطريقة الظاهرة ولا المخفيّة ويجلب لكل منقبة من ذلك الذى بيديه دليلاً من الكتب المتقدّمة فيجمع بين الظاهر والباطن فى قالب واحد وكذلك لو اجتمع بوالده مولانا حمّه وشاهد العجب العجاب من إملاء وحى النبوة ووحى ختم الأولياء الذى لا يفارقه لعلم الفرق بين المقامات ولفهم ما أردت البحث فيه معه ولعلم أنى أردت ترقيه عما كان فيه ، لكننى عذرته لقوة رابطته وكمال نوريته وعظيم تعلّقه وتحققت أن الإمام التماسينى قبله قبولاً يلحقه بجميع المراتب التى نزل عنها ويريه من أسرار الختم فى جولته هاته ما لم يره عند فطاحل السودان وجهابذة شنقيط ، وسيحقق لنا المستقبل فى كتاباته عن بعض ذلك ، وهذا ما تخيلته من حقيقة المقام .

وجد السيد فى دفتر من دفاترى ورد الأسبوع^(٦٦) فتعجب تعجباً عميقاً وكاد أن ينكر ذلك أو يتبرأ وفهمته أن هذا برز من رجال يجتمعون به صلى الله عليه وسلم يقظة وبسيدنا أبى الفيض التجانى عليه سلام الله ويأخذون عنهما أسرار الطريقة وهو أبلغ فى السلوك من السرد وما قدرت على الإطناب معه فى ذلك ، فقال لى : " الأصل فى الطّى ما روى عن البكرى " ، فقلت له : " يا مولانا هذا ورد الأنبياء ومستندنا فى الطريقة غير مستند البكرين ، والرواية البكرية فى هذا المعنى ولو أثبتناها فى كنانيشنا فإننا ما أردنا بها إلا زيادة الاحتجاج على من نريد إكمال يقينه لا غير " ، وقد حكى لى سيدى حقى محمد السائح بن سيدى البشير التجانى التماسينى أنه وجد عنده تركيب الإمام على بكسر السين قائلاً له : " هذا مأخوذ من يس " ، فتعجّب وأصلح له ذلك وبين له الوجه المأخوذ عن الشيوخ ، أما السيد فإنه قال لى : " هكذا أثبتته لى سيدى عبد المالك " ، ولقد ذكرتنى هاته الواقعة - وما بالعهد من قدم - ما ذكرته لى لما حللت وجدة فى طريقك لزيارة سيدنا بفاس أنك وجدت فى دفتر المقدم عبد الوهاب

الإحدى عشر المعروفة التي نحن بصدددها محرّفة وأنت أصلحتها له ، وقد قال لك : منحني بها سيدي عبد المالك بهاته الكيفية.. إلخ ، ثم افترقنا للمبيت .

وفي صباح الأحد تجددت الأشربة كصباح السّبت والحلويات المتنوعة كذلك وأتانا في ذلك الصباح الشيخ المدني وإمام الطريفأوى السيد مصباح وسأل السيد عن شؤون استصعبها في درس اليوم الماضي ففهمه وأعطاه البيان الشّافي ، أما الشيخ المدني فإنه ما جاء إلا للمواصلة الودّية لا غير ، وفي هذا الصباح توجه مولانا أحمد لدارنا وفرح به العائلة فرحاً لا يوصف والله ما ناولوا طعام الغداة لقوة ما اعتراهم من الفرح المتزايد ، وشرب القهوة وفتحت له الخزانة وسرد شيئاً من أجوبة الخلفاء في دفتر كبير وأنعم الله علينا بمشيه في أرض دارنا ونظره لأدباشنا وما ذلك إلا كمال اعتناء الختم بنا والحمد لله ، ثم ركبوا السيّارة وتوجهوا لعميش^(٦٧) فنزلوا بدار المقدم سيدي محمد العيد بن بنسالم وجعلوا درساً وشربوا الآتاي ، ثم توجهوا لزاوية الشيخ الإمام لمناولة الفطور بدار الحاج الأمين بالربّاح^(٦٨) وهناك وقع الدّرس العظيم لكثرة الواردين وقد أكرمهم الحاج الأمين إكراماً عظيماً جعل لهم مأدبة عربية بأتم معناها امصور^(٦٩) وغيره وأهدى للسّيد حولي قفصى جديد^(٧٠) وبرنس جريدي^(٧١) من أعلى طراز ، وما قدموا من عنده إلا ليلاً فتوجهوا من طريقهم بسيّارتهم إلى دار الآغا محمد العيد بن موسى لشرب الآتاي حيث عاهدوه على ذلك قبل توجههم إلى عميش ، وكلام سيدي محمد الحافظ بدار الآغا كله في ذكر علماء مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية كأصحاب المجلّات والجرايد وقد عاب السيد غالبهم لتمسّكهم بالأخلاق الأوروبية وتقليدهم الشّؤون المنافية للدين الإسلامي ، ثم ختم الآغا المجلس بقوله مخاطباً سيدي محمد الحافظ : " يا سيدي إننا كنّا على عهد أبائنا وأجدادنا لا يأتينا الخير إلا من سيدي الحاج على وإذا بالزّمان تبدّل وقويت عداوة الأولياء في وطننا وتبدّلت

٦٧ - منطقة بولاية الوادي .

٦٨ - بلدية الرباح بولاية الوادي .

٦٩ - الخروف يطهى على الطريقة العربية بكامله ويقدم هكذا بدون تقطيع .

٧٠ - لباس خاص بالمرأة الصحراوية من صنع قفصة بتونس .

٧١ - برنوس رجالى تونسي قصير حتى الركبة يصنع بجنوب تونس .

أحوالنا وشاهدنا الهلاك لأجل هذا التبديل ، وما يدلّك على صحّة قولي أن اجتماعنا بك الذى قويت به رابطتنا وتجددت به معتقداتنا ما وقع إلا من دار سيدى الحاج على .

ثم توجه الجميع لزاوية سيدنا التى بالواد حمل أدباشهم بعد العشاء ليتوجّهوا إلى قمار ، أما أنا فإننى لما ظننت أن سيارة الأستاذ لا تسعنى لضيقها أحضرت زايلة^(٧٢) وأعددت لها عدّتها وقضيت مآربى جميعها وأخرجت أدباش السّادات ووضعتهن على دكّانة الزاوية^(٧٣) وجعلت عليهم المراقبة ، وركبت الزايلة وقت قدومهم من عميش إلى دار الآغا ولم أرهم ، فلما وصلت تاغزوت^(٧٤) لاقانى إنسان راكب على بغل مسرعاً فتخيّلت مراده ، فأوقفته وقلت له : " أين تقصد ؟ " ، فقال لى : " بعثنى سيدى السّايح بن سيدى محمد العروسى التّجاني بجواب إلى القايد المختار ليكشف له عن خبر الشيخ ومن معه حيث تحيّر فكره من بطّئهم ، واليوم أحد لا تجد المخاطبة التلفونية " ، فأرجعته وقلت له : " إنهم قادمون " ، فلما وصلت قمار واسترحت قليلاً وصلوا لجنان سيدى السايح بعدما مرّوا على القايد المختار بكوينين وخطبوا وشربوا الآتاي .

حاصله أنهم وصلوا قمار على الساعة العاشرة من ليلة الاثنين وتناولنا العشاء جميعاً بجنان سيدى السايح ومعنا القائدان المختار والأخضر وسيدى العيد بن سيدى محمد الكبير التّجاني القادم فى تلك الليلة من الجريد^(٧٥) ، وبعد العشاء توجه سيدنا إلى مقعده بداره وبات لقوّة التعب ، ودخلت أنا والشيخ محمد الحافظ والمقدم العيد وإبراهيم اللموشى المقعد الذى على يمين الدّاخل من الجنان فحضروا لنا الواجب من الفراش والخطب والآتاي فبتنا جميعاً فى مقصورة واحدة ، وأمّا سيدى الحاج الماحى فإنه بات فى مقصورة وحده بذلك المقعد ، أما المقدم العيد فإنه نام غلبة ، وبقينا نتحدّث قليلاً مع السيد وإبراهيم اللموشى ، وإذا بالسّيد قال لإبراهيم : " اقبض السّاعة فى يدك ولا تزيدنى فى أكثر من نصف ساعة " ، وإذا بالمقدم سيدى

٧٢ - دابة .

٧٣ - مقاعد من الحجارة موجودة بالزاوية .

٧٤ - بلدية تابعة لدائرة قمار .

٧٥ - إقليم بجنوب تونس .

محمد العيد أشار على إبراهيم بأن لا يوقظه ليستريح ، فلما فاق من نومه كلّفنى أن أكتب له ورد الأسبوع فشرعت فى كتابته بعد صلاة الصبح وأداء الذكر وما أكملت إلا وقت خروجه لقراءة درسه المصحوب بالرحيل ، فأتانا سيدنا فى ذلك الوقت وكتب جواباً لابن احسين^(٧٦) فى مصالح السيّد ، وفى تلك اللحظة جدّدنا ذكر الإجازة من السيّد لجنايبك يا مولانا التجانى فالتفت السيّد للشيخ وقال له : " لا أفعل إلا بإذنك " ، فقال له : " اتفقنا عليها ووقفنا فأنت مأذون وهو أحق بها وأهلها " ، فكتبها السيّد بخطّه ومكّنها لسيدنا فكتب فيها وبرزت فى أكمل حلّة وأتمّ طراز مكسوّة بالإذن المطلق المأمون من كل الوجوه لله الحمد ومزيد الشكر ، فنهنيك لذلك ونسأله تعالى أن يزيدك من فيض فضله العظيم ، فأخذ المقدم العيد الإجازة من يد الشيخ مولانا أحمد وجعلها فى جيبه وإلى الآن ما رأيناها ، واليوم ذكرنى المقدم فى شأنها قائلاً لى : "هل بشرت الشيخ التجانى بها أم لا ؟ " ، فقلتُ : " لم أفه بها لأنها لا زالت فى طيّ الخفاء ولما أذنتنى ها أنا أبشره بذلك " .

ثم حمّلنا أدبناش السيّد وأخرجناها للسيارة التى قدمت فى ذلك الصّباح من الواد لتحمله إلى توزر ، وخرج لوسط الجنان وجعل درساً حضره الجمع الغفير من أهل قمار وتاغزوت والرّقية وسيدي عُون والأبهيمة وورّماس^(٧٧) ، ومضمون الدرس فى قوله تعالى : (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)^(٧٨) ، فأجاد وأفاد وأوضح المشكل وأزال الغبار الذى ذرّ فى أعين المصابين ، والمسألة وإن كانت معلومة قديماً فإنّها منسوخة بغيرها من الآيات فقد زاد فى بيان ذلك قائلاً : "إنّ السّعى المذكور فى الآية هو سعى المملّكة والواصل من عمل الغير للغير بطريق الانتفاع بقوله تعالى : (إِلَّا مَا سَعَى) أى ما ملك بنفسه فله ذلك بالأصالة والاستحقاق ، وأمّا الإهداء الذى يأتية من الغير فهو غير الملك كمن ملك داراً وأسكن فيها غيره وصرّفه فيها التّصريف المطلق يأكل من ثمار بستانها ويصرف من ثمن كرائها ويسكن فيها.. إلخ ، فالمذكور فى الآية هو معنى المالك للدّار سعاها بمعنى ملكها سعاية بالملّك والواصل له الخير من غيره هو المتصرف

٧٦ — وكيل زاوية توزر .
٧٧ — بلديات بولاية الوادى .
٧٨ — سورة النجم ، الآية ٣٩ .

فيها بإذن المالك وأمره " ، فزال الغطاء والحمد لله ، ثم عدّد كثيراً من الدلائل في الموضوع منه ما نعرفه ومنه ما لا نعرفه ، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قدّموا له صحابياً ليصلي عليه فقال لذويه ممّا معناه : ((هل عليه دينٌ ؟ فقالوا : لا ، فصلّى عليه ، وقدّموا له آخر فسألهم : هل عليه دين ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم : هل له مال تؤدّون منه الدّين ؟ قالوا : لا ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : صلّوا على أخيكم ، فقال له واحدٌ من أصحابه : أنا نتحمّل له بدينه يا رسول الله ، فصلّى عليه)) ، فقال السيّد : " هذا انتفاع بعمل الغير " ، قالوا : " نعم " . ولما أظنّب السيّد وصاحب السيّارة قلق والأدبّاشُ حُمّلتُ والقائدان ركبا وصرنا نشيرُ له من بُعد ليختصر فلم يقبل ، فقال له الحاج الماحي : " اختتم الدرس " ، فقال له : " حتّى نُوفّي الموضوع حقّه " ، ولم يختم الدرس إلا بعدما تحقّق القلق ، فدعا بالخير ونوّه بأهل الوطن واستكثر خيرهم وخرج وودّع الناس وركب وصحبه القائدان إلى توزر ، ولما خرج من البلاد رجع بالسيارة ودعانا وهو راكب وسألنا عن أولياء الطّريقة ومقاديمها المقبورين بمقبرة قمار من هم ؟ فسمّينا له سيدي عبد الله بدّه وسيدي علي بن احنيش وسيدي مرغنى وسيدي محمّد السّاسي وسيدي عبد الله بن منصور .. إلخ ، فقال لنا : " إنني كنت عازماً على زيارتهم فنوبوني في ذلك " .

وسار على السّاعة التاسعة ضحى الاثنين ١٦ يناير ، وعلى السّاعة الواحدة نهراً وصل توزر فنزل ببرج سيّدنا وزار سيدي الطاهر بن عبد الصّادق^(٧٩) وركب في اشمند فير^(٨٠) مساءً ذلك اليوم وودّعه للمحطّة القائدان وابن احسين وابن العُصمة^(٨١) ، ولم يجتمع بأى إنسان من توزر لحجاب أهلها من الخير ، أما سيدي الكبير بن سيدي العيد التّجاني وسيدي عرابي بن سيدي أحمد عروسي التّجاني وسيدي أمعمر وعمّه سيدي العيد بن سيدي محمد عروسي التّجاني فإنّهم ركبوا سيّارة خصوصية وتعرّضوه في نفطة فتخالفوا في الدّخول إليها ، هم داخلون والمسافرون خارجون من جهة أخرى ، حاصله أنه ركب في ذلك اليوم للقيروان^(٨٢) فزار

٧٩ - سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري مدفون بتوزر .

٨٠ - القطار .

٨١ - وكيل زاوية توزر .

٨٢ - مدينة داخل تونس .

الصَّحْبِي^(٨٣) والمسجد يوم الثلاثاء ١٧ يناير ، وسافر على اشمند فير إلى تونس^(٨٤) ونزل ضيفاً في دار السيّد جلّول الشّواشي وجعل هناك دروساً وأخذ كثيراً من الآثار التي عثر عليها جلّول من سيّد حسّن بن أمّيدة^(٨٥) ، ثم سافر إلى قسنطينة ولم يأتنا خبر عن تفصيل ما وقع هناك إلا أننا سمعنا أن ابن باديس^(٨٦) لما سمع بقدمه سافر مُسرِعاً إلى عمالة وهران ، والله أعلم .

ثم سافر للجزائر^(٨٧) وصحبه لها الحاج مصطفى بن الحاج الصادق^(٨٨) لكّته ركب البحر في الحين لموافاة المركب ليوم القدوم ، يقول لى السيّد المعراج فى جوابه : " وأما السيّد محمد الحافظ فإننى اجتمعت به هو وسى مصطفى بن الحاج الصادق وسى الحاج الماحى ووعدنا بدرس بعد السّاعة الثّانية بعد الزّوال لكن صادفه أمر سافر على السّاعة العاشرة صباحاً مع الأسف وجميع الناس متأسفون عن درسه " .

وقال الحبيب الصّادق سيّد عبد الله بن أحمد بن حمّ بالله فى جوابه : "وبعد نهنيكم بقدوم سيدنا الشيخ ومن صحبه كالشيخ سيّد محمد الحافظ وسى الحاج الماحى ، وإن سى الحاج الماحى حدّثنى برحلتهم فى سوف وبما وقع لهم و بما فرحت بهمّ الناس ولله الحمد ، واعلم سيّد أن السيّد لما كان كلامه عظيماً رأى أهل الوطن غالباً ما رأيناه نحن بتماسين أن الأولى السّكوت أمام هذا السيّد فلا ينبغى سؤاله ولا الخطّابة أمامه بل يتركه الإنسان حراً فى إلقاءته وهى كفيّلة بكلّ مراد ، لأجل هذا لم تقع خطبةٌ من أحدٍ أمامه ، إلاّ أنّى لما رأيت المقدّم أراد الرّكوب لملاقاته أولاً بقمار مكّنتُ له ورقةً فيها كلماتٌ نوّبتهُ أن يقولهنّ أمام السيّد وقت القدوم ففعل ، وها هو نصُّ تلك الكليّمات :

الحمد لله مُفيض النّعم باسط موائد الكرم ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولانا محمّد سيّد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه أولى الهيمم صلاةً وسلاماً يدومان بدوام الفيض المتجدّد من حضرة القِدَم ، أما بعد فإنّ من أعظم النعم علينا اجتماعنا بفريد العلم والديانة نحريّ أرض

٨٣ - أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨٤ - تونس العاصمة .

٨٥ - من كبار رجال الطريقة التجانية بتونس .

٨٦ - من شيوخ السلفية المنكرين بالجزائر .

٨٧ - الجزائر العاصمة .

٨٨ - مقدم الطريقة التجانية بقسنطينة .

الكِنَانَةُ الشَّيْخُ سِيدِي مُحَمَّدَ الحَافِظِ المَمْلُوءِ بِالحِكمِ والمِخْتَارِ لِحَمَلِ الأَمَانَةِ ، فَهَـأنا أَقُولُ فِيهِ عَلى حَسَبِ ما رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّنِي ما أُعْطِيتُ لِلْمَقَامِ حَقَّهُ وما وَفِّيتُ ، فَأَقُولُ :

قمر الهداية فى سماء قمار
والنور يشرق فى ربوعها معلناً
وسحابها المخفى لمسلك بابها
والسعد أقبل والهواتف بشرت
والناس من تيه الدلال تمايلوا
لم لا وهذا الحافظى محمد
قد أمها شوقاً لساكن تربها
قد حلّ أول مركز للختم فى
أبدى من العلم الصحيح عجائباً
وعلو كعب فى المعارف مثلت
وعظيم باع فى الخطابة ما له
بجر من العلم اللدنى قدست
فيض طرى من مشارب أحمد
شكر لشيخنا أحمد بن محمد
السايع الأرضى فقد كانا لنا
فلاسرة الغوث التماسينى الرضا
لم لا وروح الهاشمى محمد
صلى عليه الله ما امتد العطا

نشرت أشعة خالص الأنوار
بزوال مطلق ظلمة الأغيار
حيناً جلا فصفت من الأكدار
بزوال دولة فنة الفجار
طرباً وجرّوا الذيل بالأفخار
فرد الكنانة سيد الأبرار
فهو الموفق صاحب الأسرار
كل العوالم حضرة المختار
دلّت على التمكين والإكبار
سلفاً سموا فى مرشح الآثار
مثل يهذب سائر الأفكار
فيضاته بتجليات البار
مدّ ابن آدم بالعطاء السار
وشقيقه المرعى ذى المقدار
سبباً لهذا الهدى بعد بوار
قدما كمال الرضا دون ستار
مدّتهم بنفائح الأسرار
من حضرة العلم الصحيح الجار

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وقد قرض هذا الشيخ التجانى بن محمد السائح نصيرى بقوله :

كشفت لنا الغطاء عن كل مبهم
وأبرزت من السنى الفوائد جوهرها
وأسفرت عن وجه الحقيقة والرشد
محيطا كفيلا بالذي كان في ودي
ومنذ انتشقت من رحيق زلالها
طربت سرورا حتى جزت عن الحد

تأليف العلامة الشهير المقدم الكبير سيدى العروسى بن عبد الله محمدى رضى الله عنه

وأسكنه فسيح جنانه ، آمين .

فبراير سنة ١٩٣٨ م

ملحق

ويليه تراجم لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم بهذه الرحلة المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضى الله عن سيدنا القطب المكتوم وآله وحزبه ، آمين .

إخوانى وأحبابى الأعزاء حفظهم الله ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع أصحاب سيدنا رضى الله عنه وعلى ألكم وأحبابكم .

إن مجد الطريق وعزتها وبهاءها هنا ليقصر الوصف دونه ، إن مكانة أصحاب سيدنا رضى الله عنه فوق الثريا حساً ومعنى ، هنا الحب الخالص ، هنا الذكر والقداسة والطهر ، هنا الفناء فى الله والامتزاج النقى فى حب الله ، والأخوة الحية الناطقة ، والحفظ الطبيعى للحدود الشرعية ، والمداومة على العبادة ، والمحافظة على الوقت .

هنا الرجال العاملون والشبان المخلصون ، خلف يحقق آمال السلف رضى الله عنهم ، فأشغلهم به بينما هم فى مقدمة العاملين على معاشهم يحوطهم سياج التقى وتغمرهم حلل الفضيلة ، (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^(٨٩) .

زرنا عين ماضى ، وما عين ماضى ؟ سماء النور المشرقة فى كبد الصحراء ، وشمس القداسة المنيرة فى سائر الأنحاء ، بلد الله التى يذكر فيها اسمه على ممر الزمن ليلاً ونهاراً ، الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والأحرار والعبيد ، كل ما فيها يذكرك بالله .

هنا فلان ومناقبه كذا ، هنا رأى فلان النبى صلى الله عليه وسلم الرؤية الروحية ، هنا كانت غيبة سيدى محمد العربى التازى الدمراوى بالانسلاخ عن بشريته والتمتع بحديث سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، هنا كان الصمود للحق ، هنا وكز سيدى محمد الحبيب الأرض وعين ماضى محاصرة وقد قطع عنها الماء الذى يأتيها من العين التى خارج السور فأنبع الله عيناً كفت الناس فى معاشهم ، هنا خزانة أسرار سيدنا رضى الله عنه ، هنا مرقد سيدى محمد ابن الشيخ

رضى الله عنه ، هنا سيدي محمد الكبير ، هنا سيدي علال بن القطب المدهش سيدي أحمد عمار، هنا سيدي محمود الذي جمع له الدين والدنيا المحمدي الداوودي الإبراهيمي ، هنا أبناء الشيخ رضى الله عنه ، هنا الدين والكرم ، هنا الشجاعة والحكم ، هنا الولاية والعلم الرباني اللدني .

ليتني أستطيع أن أبكى وأبكى القلم على زمن ضيعناه وأضاعه الناس علينا ، ابكوا على المنكرين ولا تلعنوهم وحسبهم أنهم محرومون ، إنهم أولى الناس بالرحمة .

رأيت قبر أوريلي الزوجة المخلصة والصديقة الوفية ، إن حدثت أن امرأة أخلصت ثم أخلصت ثم أخلصت إلى آخر نفس في حياتها فهي تلك السيدة الفرنسية العربية التي أحبت زوجها الحب كله وأخلصت له الإخلاص كله ، وأعلنت إسلامها ، وطلبت أمام الطبيب الفرنسي أن تدفن بجوار زوجها ، وآلت ألا ترقد الرقدة الأخيرة إلا بجوار جسده المبارك .

يا للرحمة ويا للإخلاص ، كذب الدجالون ، كذب الخراصون ، كذب الأفاكون لقد تحققت كل شئ بنفسى على منصة الإنصاف والتحقيق العلمى والتدقيق التاريخى ، إن صحيفة هذه الدار لمفخرة للإسلام والمسلمين ، وكيف لا تموت مسلمة مؤمنة صالحة وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) ، ها هو ذا الفضل الإلهى يشهد لنفسه بنفسه إذ يظهر على يد الكافر فيصبح ولياً ، والحمد لله رب العالمين ، إيه يا دنيا الناس (إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ)^(٩٠) .

والسلام

أما ملخص سفرى فالحمد لله رب العالمين على إكرامه ، لقد لقينا أولاد سيدنا بأسمى ما يتصور من الكرم والتنزل ، وأطلعونا على خزائن النفائس الخاصة من الكتب والكنائش التى لا يحلم أحد بأن تمسها يده ، ونقلت بيدي خط الشيخ سيدي أحمد التجانى رضى الله عنه وخط

٩٠ — سورة الأنفال ، الآية ٣٤ .

الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني وخط سيدي الحاج علي حرازم وسيدي العربي التازي
الدمراوي وسيدي محمد بن المشري ، وشرح ذلك يطول .

وأرجو أن يصل خطابي هذا إلى مختلف البلدان جميعها ، وكل يعلم ما في جهته ويبلغ الجميع
سلامي وأنتى قد دعوت لهم بخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

العنوان : فاس - حومة البليدة - سوق العطارين

سيدي الغالى بن سيدي الطيب السفيناني مقدم الزاوية التجانية الكبرى

ومنه إلى محمد الحافظ التجاني .

محمد الحافظ التجاني

وهران في ١٥ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٧ م^(٩١) .

٩١ - هذا الخطاب أرسله سيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري من مدينة وهران الجزائرية بعد عودته من مدينة عين ماضي في تلك الرحلة المباركة وليلة سفره إلى مدينة فاس المحروسة ، وقد أعطاه لنا الشيخ عبد الحفيظ عثمان صهر سيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني ، وهو منشور في مجلة طريق الحق السنة ١٦ العدد الخامس الصادر في جماد أول ١٣٨٦ هـ الموافق أغسطس ١٩٦٦ م ، ورأينا نشره هنا كي تعم الفائدة ويتحقق رجاء الشيخ رضى الله عنه بأن يصل هذا الخطاب إلى مختلف البلدان وكل يعلم ما في جهته ، والحمد لله .

كيف أخذ العارف الشيخ الميسوم المشهور في بلاد الجزائر الطريقة التجانية^(٩٢)

سيدنا العلامة الحاج بلقاسم ابن الطيب المعروف بلقب بوكابو من العلماء العاملين وقد انتفع به كثير من العلماء ، وهو من أخص تلاميذ سيدي علي بن عبد الرحمن مفتى مدينة وهران ، قال :

" كنا جلوساً عند سيدي علي عبد الرحمن فجاء سيدي قدور تلميذ العارف الكامل سيدي الشيخ الميسوم شيخ الطريقة المعروفة باسمه ، جاء وافداً من مستغانم^(٩٣) ، فقال له سيدي علي ابن عبد الرحمن : سألتك بالله أن تذكر للأحباب كيفية أخذ سيدي الميسوم الطريقة التجانية ، فقال لنا سيدي قدور : إنى دخلت يوماً على سيدي الميسوم فقال لي : يا سيدي قدور إنى أخذت طريقة الشيخ سيدي أحمد التجانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عالم الأرواح وعن الشيخ سيدي أحمد التجانى ، وإنى أحب أن أؤذن بها فى عالم الأشباح ، ثم قال لي : ولم تطب نفسى لأحد إلا لسيدي علي بن عبد الرحمن فى وهران ، فقلت له : يا سيدي ، سيدي علي بن عبد الرحمن هو الآن صاحب دنيا وصاحب وظيفة ، فكيف تأخذ عنه طريقة سيدي أحمد التجانى ؟ فرد على قائلاً :

قد كان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخير

وأرسل خطاباً لسيدي علي بن عبد الرحمن ، فرد عليه قائلاً : طريقتنا ينبغى لها الانفراد فلا تُجمع مع غيرها ، وبين له شروطها ، فأرسل له سيدي الميسوم معى إليه إنى قابل جميع شروطك ، فأذن له سيدي علي على الشروط " انتهى .

قال سيدي الحاج بلقاسم : " وذكر ذلك سيدي قدور بن سليمان صاحب الطريقة القدورية فى مستغانم تلميذ سيدي محمد الميسوم أمامنا فى حضرة سيدي علي بن عبد الرحمن المفتى ، وكان معنا جماعة من الأحباب منهم مفتى تلمسان^(٩٤) الشيخ الحبيب بن عبد المالك " .

٩٢ - هذه المقالة نشرت بمجلة طريق الحق السنة التاسعة العدد العاشر الصادر فى ٢٠ شوال ١٣٧٩ هـ الموافق ١٥ أبريل ١٩٦٠ م ، وقد رأينا أن ننشرها هنا لأنها كتبت أثناء هذه الرحلة المباركة .

٩٣ - ولاية مستغانم تقع غرب الجزائر العاصمة بجوار ولاية وهران وتطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

٩٤ - تقع ولاية تلمسان على الحدود الجزائرية المغربية وتطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

وسمع سيدي العربي بن السائح أن الشيخ الميسوم أخذ الطريقة التجانية عن سيدي علي بن عبد الرحمن فأخبر سيدي أحمد العبدلاوي ، فقال له سيدي أحمد : " كيف وسيدي الميسوم شيخ طريقة باسمه وقد اشتهر بالفتح والولاية وصاحب تربية وأوراد خاصة بطريقته وشروط طريقتنا الانفراد بها ؟ إنى أخاف على سيدي علي بن عبد الرحمن " .

فلما وصل سيدي أحمد العبدلاوي إلى سيدي علي بن عبد الرحمن بادره بالكلام بمجرد الاجتماع به ، فقال له : " يا سيدنا اصبر حتى اطلعك على حقيقة الأمر " ، وكان محتفظاً بكتاب سيدي الميسوم في محفظة الدرس الذي يلقيه ، فأراه كتابه الذي التزم فيه شروط الطريقة .

ولم يكتف بذلك حتى ذهب بنفسه إلى سيدي الميسوم فلما اجتمع به في داره قال له : " يا سيدي الميسوم كيف تأخذ طريق الشيخ سيدي أحمد التجاني وأنت تعرف أن شروطها الانفراد بها ؟ " ، فأجابه : " إنى محافظ على شروطها ومنفرد بها فيما بيني وبين الله ، وقد أقمت خلفاء عنى هم الذين يعطون الطريقة الأولى وأنا لا أعطيها لأحد ، ومن أراد أخذ طريقة الشيخ سيدي أحمد التجاني على شروطها من أنس القيام بها على وجهها فإني أعطيهم الطريقة ، وإن أردتني أن أظهر ذلك للملا تأذن لي أن أنتقل إلى مليانة^(٩٥) وأشتغل بنفسى بقية حياتي " ، فقال له سيدي أحمد العبدلاوي : " اصبر حتى يأذن الله " ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى توفي إلى رحمة الله .

فالذين أخذوا عنه طريقته هم الذين أعطاهم قبل أن يأخذ الطريقة التجانية عن سيدي علي ابن عبد الرحمن .

حدثني بذلك سيدي الحاج بلقاسم بوكابو بوهران .

محمد الحافظ التجاني

وهران أيام العيد في شهر شوال سنة ١٣٥٦ هـ الموافق نوفمبر سنة ١٩٣٧ م .

٩٥ — مدينة مليانة تقع بداخل ولاية عين الدفلى الواقعة غرب العاصمة الجزائر ، ولا تطل على ساحل البحر .

تفسير بعض آيات من سورة الحجرات^(٩٦)

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ رَّحِیْمٌ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(٩٧) .

أقدم بين يدي خضوعاً لبارئ المخلوقات سائلاً من فضله إمداداً وتوفيقاً وروحاً من نوره وإيماناً وتصديقاً ، أقول : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هاته الآيات تالية لآيات تقدمت من أول السورة مقرعة لصفات التهور والجفاء ، ومعلمة للآداب الإلهية مع نبيه وخاصة أصفياه من توقير واحترام ، فاقصرنا على هاته الآيات لما فيها من تربية الأخلاق وتطهير البواطن وتوطيد الجامعة من الأخوة الحقيقية المعتمدة شرعاً .

تصدير النداء : (يَا أَيُّهَا) وهو المنادى للجنس بالبعيد ، ولم يخصه بالقرب لبعده مناسبة من الاتصاف بصفة منافية للحال ، فقال : (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ) واختصاص الإيمان بقوم بالجمع تنبيهاً للعموم من رفعة الانتساب الموهومة لما فيها من الإعجاب بالنفس واحتقار الغير وعدم مراعاة الخصوصية الإلهية الكمينية في الأرواح .

ثم علل الحق سبحانه بقوله : (عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ) ، ويرجع التعليل إلى معنيين الأول وهو الأعلى : عسى أن يكون المسخور منه عبداً لله خيراً من الساخر فيكون الساخر

٩٦ — هذا التفسير نشر بمجلة طريق الحق السنة ١٩ العدد التاسع الصادر في رمضان ١٣٨٩ هـ الموافق نوفمبر ١٩٦٩ م ، وقد ألحقناه هنا لأن كاتبه سيدي حقي محمد السائح حفيد سيدي الحاج على التماسيني رضى الله عنه قد التقاه سيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني في هذه الرحلة المباركة وهو الذي خط بيده إجازة الخليفة سيدي أحمد بن سيدي محمد حمّه التماسيني لسيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني كما هو مذكور في نص الإجازة .

٩٧ — سورة الحجرات ، الآيات ١١ — ١٣ .

متعرضاً لمحاربة الله من إذاية من خصه الله بالقرب باطناً ، والثانى : عسى أن يكون المسخور منه فى المستقبل خيراً من الساخر بتقلب أحواله فىكون هو السخرية .

فنهى الله عن السخرية مطلقاً حتى لا يكون عقباها سيئاً ، وبعبارة أخرى : إن الكمالات اختصاصية محبوبة كمينة فى الأرواح ، وظهورها تدريجياً ليست بجديث النفس ولا بالظنون بل هى منة من الله تسبقها خدمة يصحبها خضوع واعتراف بإخلاص بصحة أساس البرهان ، وخطاب النهى المعلن تشريعاً وتقريعاً وتحذيراً وإيداناً لأن من زكى نفسه وحسب أنه على مكانة من القرب بغير نص وبغير نخول أو أنه مستحق للرفعة بانتساب بغير عمل لم يتم له ذلك ، بل يخاطب بأن نسبتك ينبغى أن تكون قرينة بالمناسبة حتى تكون الدينية أغلب من الطينية ، والهئية الأدبية أظهر من النسبية ، وعرف الحق سبحانه فى مقام التربية القلبية عموماً .

ثم دفع الإبهام بإدخال أفراد الجنس بتخصص فقال : (وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ) وفى طيها اكتفاء ، ولا فرد من فرد ، فهو تنبيه متقصى مستغرق لمنع السخرية مطلقاً لما ينشأ بسببها من الحطة بمقام الروح الشريفة ونسبة الإيمان العلية المنيفة .

وبعبارة أخرى : إذ قال فى السورة نفسها : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)^(٩٨) فلا فضل للأخ على أخيه من جهة الانتساب بالتحذير عموماً لينتهى الفاعل ويتحذر الباقون ويعتبر المعتبرون .
ثم أردف الحق سبحانه وتعالى بنوع من قبائح النفس ، بنهى عن اللمز وهو ذكر العيب أو تعيب بما لا يروق ظاهره استكباراً ، فنهى الله عنه بقوله : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) بمعنيين الأول : إن صفة العيب الذى تراه فكان من الواجب أن تتغاضى عنه ولا تراه بعين النقص وعساك أن تكون هو وكان الواجب عليك أن لا تعيب أخاك فإنك فى الحقيقة معيماً لنفسك ، والثانى : إن ثوران النفس عند استماع القبيح لا يقبل تسامحاً ، فيرد لك مثل نفسك فتكون أنت الجانى على نفسك والحامل لها على أن تسمع المكروه ، وبذلك تنشأ العداوة من الحقد والضغينة التى أمر الله بحققها بقوله : (إِخْوَةٌ) .

ثم قال الله سبحانه ناهياً عن نوع آخر من صفات القبائح القلبية واللسانية بقوله : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) وذلك بمن فى لقبه وصمة أو به عاهة يناديه بها ، فهى الله عن ذلك بالشديد فقال : (يَسْمُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) أى قُبْحَ ما يتسمى به من خروج عن الأوامر الجلالية بعدما ثبتت أخوة الإيمان .

ثم أعقب الله سبحانه بوعيد حاد فقال : (وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، أى من لم يتب من تلبسه بالقبائح القلبية فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإلقائها فى مهاوى الغرور من مخالفة أمر بارئها وتعرضها لسخطه وغضبه وأليم عقابه .

فهذه حقوق المسلم على المسلم ومكانته من ربه وتربية للنفوس وتعليماً للتلبس بالكمالات الظاهرة والباطنة سبحانه من حكيم عليم .

ثم نبه بتحذير آخر عن قبيح عمل وهو سوء الظن ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) ، فأظهر الله من أنواع الظنون المنهى عنها السيئة التى نتيجتها الخطأ فى قياس باطل ولم يعمم الظن مطلقاً ، حيث إن الظن من أهل العلم المقرون بالدراية والفهم أمر متعبد به وهو الأحكام أى الاجتهاد ، ويجب على من لم تكن له قدرة على الاجتهاد أن يقلد ظن من يملك منه النصاب .

ثم نهى الله عن نوع آخر فقال : (وَلَا تَجَسَّسُوا) أى ولا تتبعوا عورات إخوانكم ، والتجسس بجيم استعماله فى القبيح وبجاء استعماله فى الحسن ، ولا يحرم التجسس من الحاكم العدل إذا أراد بذلك درأ المفاسد بل يجب ، ولا يَأْتُمُّ المتجسس إذا خلا من غرض شخصى ، وكذلك الغيبة فالغيبية ذكر الغائب بسوء وحكمها كسلفها من التجسس حكماً وحرمة ، غير أن الغيبة عقابها عند الله أعظم لما ورد أنها تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وعقبة بالصراط لا يتجاوزها المغتاب ، وكفالك ضرب المثال فيها من الآية كمن (يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً) .

ثم جمع الله بكلمة جامعة للكف عن كل قبيح باطنى وظاهرى بقوله : (وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ، فالالتقاء وهو جعل وقاية من الامتثال واستعمال الطاعة ، وقاية من غضب الله

بينه وبين المأمور ، ثم بشر الله بقبوله التوبة فى كل وقت ولو تكررت مئات بقوله : (تَوَابٌ) كما ورد فى الصحيح ، وأردفها باسمه رحيم وهو اسم ختم النهى والتحذير والمعاتبة والبشارة . ثم خاطب الإنس من حيث العنصر لا من حيث النشأة الخصوصية فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) ، أى من أصل واحد وهو آدم وحواء ، أو من ذكر وأنثى حيث كنتم فلا تمييز بإخراج بشر من غيره ، أو من ماء الرجل وماء الأنثى فبحسب أصله أصله ومجراه ومقره كما تعلمون لا يفضل بعضه بعضاً ، فكل الثلاثة أوجه من حيث العنصر لا فخر فيه ولا فضل ، وإنما يمتاز الإنسان بعد خروجه بروح طيبة وخصوصية إلهية .

ثم قال حكمتنا فى ذلك : (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) ليقع التعارف الإنسانى ، أو لتعرفوا ما يراد بكم ، فما خلقناكم لتتفاخروا أو لتتشاجروا ، وأما كرم أنسابكم الموهومة فلا تزن عند الله قيراطاً ، وما الكريم إلا من أكرمه الله بأن استخدمه فى طاعته .

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، أى أخوفكم من غضبه وأعدلكم فى نفسه وأعلمكم بحقائقها ، وهذا خطاب عام لقمع البشرية مخاطباً بذلك القلب المدرك الحى المفكر ، فإذا تفكر القلب فى الحقائق ذلت له نفسه فاستخدمها فى المعالى فألبسها ثياب الخدمة واستعملها فى معامل الجد ، فشمرت فيه فانسلكت فى حزب المجدين فتقربت بمثابرتها لدرجات المقربين ، فالعامل غنى بالتفكير فى ثواب عمله ونتيجته ، والعاطل من العمل ليس له تفكير إلا سفاسف الأمور واتباع الظواهر من القشور ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)^(٩٩) .

وفى قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)^(١٠٠) أى كونوا رجلاً واحداً على قلب واحد ، (وَلَا تَفَرَّقُوا)^(١٠١) أى لا يكون كل واحد منكم يتطلع بانفراده فلا يقبل الله إلا جامعة قوية متينة ، ثم اعلم الله فائدة الجامعة بقوله : (وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) ، أى تركتم حمية الجاهلية الساخنة واتبعتم الملة الحنيفية السمحة فقهرتم قيصر

٩٩ — سورة ق ، الآية ٣٧ .

١٠٠ — سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

١٠١ — سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

وكسرى الذى كتم تهابون أسماءهم فى الجاهلية فأصبحوا عبيداً لكم بطاعتكم واجتماعكم ، وإن الجامعة لا تكون إلا بمعرفة الأنفس واتباع الأوامر وعدم التلبس بسفاسف الأمور .

ثم ختم الله كل الختم بقوله : (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بما تكنه قلوبكم (خَيْرٌ) بكم علماء وعملاً ، يقول الله تبارك وتعالى فى طى هاته الآية : اعتبر أيها المؤمن بعقلك المفكر ، إذ لو رأيت هذه الأوصاف الذميمة مجموعة فى أى شخص ما كنت قائلاً فيه ساخراً لامراً معياراً نيازاً جاسوساً مغتاباً ظناناً سيئاً ، فإنك تفر منه ولا تحبه ولا تقر به ، فإن كنت تبغضها فى غيرك فلا تتصف بها أو ببعضها ، فلا تلبس قلبك حلة لا تليق بمنظره ، ولا تعلق الخواتيم بالظواهر فإن الأدوار مجهولة ، هذا بنظر فى عموم المؤمنين ، وأما المخصص بالنص أو ما شاكله فذلك فى التفرع أعظم ، وذلك كمن له نسبة نبوية هاشمية أو من له مرتبة دينية كمن استخدم فى شعائر الدين ، ونسبة المنقطعين لله والعلماء فذلك أمرهم موكل لمن خصهم به وهو المحارب عليهم .

فليحذر الإنسان من هاته الأوصاف المنهى عنها مطلقاً حتى لا يصيبه وبال الوعيد ، وحسب الإنسان أن يكتفى بما يعلم من عيوبه ويقتصر على تأنيب ضميره وهو أليق برغوبه ، فإذا استقام على المنهج القويم فليحمد الله على التوفيق ، ولا يغرنه ذلك بل يسأل الله السلامة من التعويق فإنه لا يأمن مكره إلا من كتب عليه خسره .

هذه الصورة هى مركز عمارة الدارين تعلمنا المعاش والمعاد ، تعلمنا الجد فى الأعمال ، تقوى همة العاجز وتلحقه درجة الأكاير من الرجال ، تربي القلوب بأحسن تربية ، تثبت المودة والمحبة فى سائر طبقات البشر ، فلو اجتمعت على تعاليمها الأمة لكانت كلها هداة ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (١٠٢) .

ولنختم هاته الكلمات بدعوات تجاه منزل السور والآيات ، أقول بقلب خاشع ولسان خاضع : اللهم ربنا يا مقلب القلوب يا من كتبت الرحمة قبل المغضوب عليهم أرشدنا بفضلك ورحمتك إلى ما هو منك مراد ومطلوب ، اللهم يا باسط المعروف عن غير سؤال رد إليك هذه الأمة وأنقذها من ظلام الضلال ، اللهم لا هادى إلا من هديته ولا عاملاً إلا من وفقته وفقنا لما

فيه رشدنا ، فإننا نتوسل إليك بمن جعلته وسيلة لأدم وسائر المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقبلنا تبعاً له ، وثبتنا في حزبه ، وشفعه فينا ، ولا تخزنا بين يديك يا أرحم الراحمين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

حرره فقير ربه وأسير ذنبه المقر بالعجز والتقصير

حقي محمد السائح بن البشير التجاني التماسيني

بزاوية تماسين - الجزائر

ترجمة سيدى إدريس العراقى^(١٠٣)

الشريف مولاي إدريس بن محمد بن العابد الحسينى العراقى ، الأستاذ بجامعة القرويين بفاس بالمغرب ، ولد فى أواخر عام ست وثلاثين وثلاث مائة وألف الموافق سنة ثمانية عشر وتسع مائة وألف ، وتربى فى حجر والديه أحسن تربية ، ودخل المكتب فتعلم القرآن وحفظه ، ثم التحق بجامعة القرويين وقرأ على كثير من علمائها المحققين منهم شيخ الجماعة العلامة المحقق المولى عبد الله بن إدريس العلوى الفضلى والعلامة المحقق السيد الحاج الحسن بن عمر مزور والعلامة الشريف الفلكى الشيخ محمد بن محمد العلمى وغيرهم وتخرج عالماً من الجامعة المذكورة ، وصار يتعاطى التدريس للعلوم الدينية بما فيها من التفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة والأصول وعلم الفرائض وعلم الفلك وغير ذلك .

ووالده هو الشريف الفقيه المقرئ الشيخ محمد بن العابد العراقى ، كان رحمه الله حافظاً للقرآن ومجوداً له ومتقناً لقراءته بقراءات عديدة ، وتولى الإمامة فى محراب ضريح الشيخ مولانا أحمد التجانى رضى الله عنه ثلاث وستين سنة ، والذى قدمه للإمامة فيه أصالة هو العلامة المحقق سيدى أحمد بنانى المعروف بكلا بعدما أمره أن يملى عليه فاتحة الكتاب فوجده يتقن حروفها ويجودها فيفخم ما يفخم ويرقق ما يرقق ويظهر ما يظهر ويضغم ما يضغم ويمد ما يمد وما أشبه ذلك من قواعد التجويد ، فقدمه وصلى به صلاة العشاء ، وبعدهما توفى الشيخ بنانى المذكور تولى الإمامة بالأصالة خاتمة المحققين العلامة الكبير الشيخ محمد فتحا بن عبد السلام قنون وأتاب الشريف المذكور عنه إلى أن توفى ، وتولى الإمامة بالأصالة إلى أن توفاه الله تعالى وكان هو المكلف بافتتاح القرآن الكريم الذى يتلى منه فى كل يوم حزبان بعد صلاة الصبح ويعادان بعد صلاة الظهر وكذا بافتتاح الوظيفة المعلومة والهيلة بعد عصر يوم الجمعة ، وأجازه فى الطريقة الأحمدية التجانية جماعة من المقدمين الأكابر منهم الشيخ قنون المذكور ومنهم سلطان

١٠٣ — هذه الترجمة مأخوذة عن مجلة طريق الحق السنة الرابعة عشر العدد الخامس الصادر فى جماد أول ١٣٨٤ هـ الموافق سبتمبر ١٩٦٤ م .

المقدمين الشريف محمد بن العربى العلوى مقدم زاوية زرهون وكذا السيد علال الفاسى ، وكان يقوم بالصلوات الخمس فى الزاوية صيفاً وشتاءً لا يؤخره عن الزاوية إلا مرض ونحوه ، ويتقن الصلاة إتقاناً كاملاً تشبه صلاته فى إتقانها وخشوعها وآدابها صلاة مولانا الشيخ التجانى رضى الله عنه ، وبقي قائماً بوظائفه الدينية فى الزاوية الأهدية إلى أن توفاه الله تعالى ليلة الإثنين سابع ربيع الأول عام خمسة وستين وثلاث مائة وألف هجرية .

وكان فى حياته عام ثلاثة وخمسين وثلاث مائة وألف قدم ولده المذكور أعلاه إلى النيابة عنه فى الإمامة وفى الوظائف المذكورة إذا تأخر لعذر من الأعذار الشرعية ، وأول صلاة صلاها بالمحراب هى صلاة العشاء كوالده ومن هناك تولى الإمامة بالنيابة عن والده المذكور إلى أن توفى فى العام المذكور فتولاها بالأصالة إلى الآن ، كما أنه شرع فى التدريس والوعظ والإرشاد فى الزاوية المباركة عام ثلاث وستين وثلاث مائة وألف ، وتولى أيضاً مشيخة الزاوية عام سبعة وستين وثلاث مائة وألف ، ولازال قائماً بجميع ما ذكر إلى الآن .

وله الإجازة فى الطريقة من عدد كثير من العلماء والمقدمين تناهز الخمسين ، منهم والده السابق الذكر ، ومنهم الشيخ سيدى أحمد سكيرج ، ومنهم أخوه الشيخ محمد سكيرج الطنجى ، ومنهم الشيخ محمد بن محمد الحجوجى ، ومنهم الشيخ الحاج الحسن مزور ، ومنهم الشيخ الكبير العلامة الشهير أبو عبد الله الشيخ محمد الحافظ عبد اللطيف التجانى المصرى ، ومنهم نقيب الشرفاء التجانيين الشريف البركة سيدى الطيب بن علال التجانى ، ومنهم أخوه الذاهر الناسك سيدى محمد فتحا بن علال التجانى ، ومنهم الشريف المفضل العارف بالله سيدى الحاج ابنعمر بن سيدى محمد الكبير التجانى ، ومنهم الشريف الأجل الأسعد سيدى محمد الحبيب بن سيدى محمود التجانى ، وغيرهم ، وجلها بالإطلاق التام الشامل العام من غير قيد ولا شرط .

ترجمة سيدي العروسي بن عبدالله محمدي^(١٠٤)

سى^(١٠٥) العروسي بن عبد الله محمدي أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بوادي سوف بالجزائر ، ولد سنة ١٨٨٥ م ، تربي بالجامعة التماسينية العريقة وفي كلية الشيخ سيدي حمّه - الملقب بسيدي الحاج علي الأصغر - بالذات ، ثم واصل تربيته الشيخ سيدي محمد البشير بن سيدي حمّه ثم نجله الشيخ سيدي محمد العيد الثاني وأخيراً الخليفة الشيخ سيدي أحمد بن محمد حمّه التجاني التماسيني ، إلى أن لاقى وجه مولاه في ١٩ أكتوبر ١٩٥٢ م بوادي سوف . له عدة مؤلفات منها نصرة الشيخ النظيفي ، رسالة الجذب والسلوك ، شرح صلاة الفاتح ، الرحلة التطاوبينية ، رحلة سيدي محمد الحافظ للجزائر والمغرب ثم للجزائر ، دواوين في مدح الشيخ الأكبر وخلفائه الكرام .

كما أن له مراسلات وزيارات لبعض مقدمي الطريقة في داخل الجزائر وخارجها ، وأخص بالذكر العلامة محمود بن المظماطية ، المقدم سى مصطفى بن الحاج الصادق ، سى عبد العزيز ابن الحاج الصادق ، المقدم أحمد بسام ، المقدم ابن شعلال ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، الطاهر الونيسي ابن المقدم حمدان الونيسي ، العلامة الكبير محمد الحجوجي ، علامة الدنيا سيدي محمد الحافظ التجاني المصري ، والعلامة المقدم الكبير سيدي إدريس العراقي .

١٠٤ - هذه الترجمة مأخوذة من رسالة سيدي محمد الحجوجي المكتوبة في ١٦ رجب الفرد سنة ١٣٤١ هـ الموافق فبراير ١٩٢٣ م .
١٠٥ - معناها : سيدي .

ترجمة سيدي محمد اللقاني بن العلمي رضى الله عنه^(١٠٦)

سيدي محمد اللقاني بن سيدي الصغير بن سيدي محمد بن العلمي بن عبد المالك بن عبد القادر بن معمر بن أحمد بن محمد السائح الشريف الحسنى ، ووالدته السيدة فاطمة بنت الطاهر ابن الأخضر بن سيدي عبد القادر البوطى بن عبد المالك ، وهو الذى أرسل إليه الشيخ رضى الله عنه الإجازة قبل أولاد السائح مع سيدي محمد بن المشرى وضمن له أن لا تخلو داره من الولاية وأن يخرج من ذريته أربعون عارفاً .

وسيدي العلمي رباه الشيخ سيدي أحمد التجانى رضى الله عنه ، وسيدي محمد بن العلمي رباه سيدي الحاج على التماسينى ثم كمل تربيته سيدي محمد الحبيب بن الشيخ رضى الله عنه ، وسيدي الصغير تربى على يد سيدي أحمد عمار ، وسيدي اللقاني أخذ عن سيدي علال بن سيدي أحمد عمار الذى تولى الخلافة قبل سيدي محمد الكبير ، وقد خالطوا دار الشيخ واختلط دمهم بدمهم فإنهم أصهارهم رضى الله عنهم .

ولما قدم سيدي أحمد عمار حفيد الشيخ رضى الله عنه إلى بلادهم جعل سيدي الصغير - والد سيدي اللقاني - خليفة عن أبيه سيدي محمد بن العلمي وأذنه ثم كتب له الإجازة بذلك وختمها هو وسيدي البشير ، ثم طلب سيدي أحمد عمار سيدي الصغير ليصبحه فى سفره فمكث معه إلى أن توفى والده سيدي محمد بن العلمي فى ربيع أول ١٣١٠ هـ ، وقد أوصى سيدي محمد ابن العلمي بسبعين بغيراً لسيدي أحمد عمار وثلاثة وأربعين لباقي أولاد الشيخ ، وبغلة محملة بالحلى من فضة وذهب للزاوية ، فعاد سيدي الصغير لدار الشيخ والتقى بسيدي أحمد عمار وأدى ما أوصى به والده .

وكان سيدي محمد عبد المالك - أخو سيدي اللقاني وأكبر منه - وهب والده ليلة مولده فى سنة ١٢٩٧ هـ نصفه للشيخ رضى الله عنه أى لخدمة الزاوية ، ثم لما سافر والده لدار الشيخ والتقى بسيدي أحمد وهب النصف الثانى ، وقام بتربية سيدي عبد المالك سيدي البشير ، وقد

١٠٦ - هذه الترجمة مأخوذة عن مجلة طريق الحق السنة الخامسة والعشرين العدد الثانى الصادر فى صفر ١٣٩٥ هـ الموافق مارس ١٩٧٥ م .

أذنه فى جميع ما حصل لجدته سيدى محمد بن العلمى ، وحج سيدى محمد عبد المالك عشرين حجة ، واشترى منزلاً بجوار باب السلام بالحرم النبوى جعله زاوية للسادة التجانيين ، وكان يضيف الناس حيثما كان بالمشرق أو بالمغرب ، وكان عالماً ربانياً أفاض الله عليه من العلم اللدنى ما يجريه الله على خاصة أحبائه ، وكان محمدياً من أكمل الورثة الذين تحققوا بمقام الخلافة والتربية العملية ، وكراماته وخوارق العادات التى أجزاها الله على يده لا تحصى ، وتوفى ليلة الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٣ هـ وهو فى خدمة أولاد الشيخ رضى الله عنه وخدمة الطريق والمسلمين .

وقد جعل سيدى محمد عبد المالك أخاه سيدى محمد اللقانى خليفة عنه ظاهراً وباطناً وأذنه بكل ما لديه من الأمور ، وقد قام بالأمر من بعده والله الحمد ، وحج وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم وزار بيت المقدس ، وجعل مقره بالمدينة المنورة مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباع كل ما يملكه فى بلاده .

وبقى بالمدينة أكثر من أربعين عاماً يحج سنوياً ، وكثيراً ما كان يخرج من مكة إلى عرفات ماشياً على قدميه ذهاباً وإياباً ، وكان يتردد بين الحجاز ومصر والجزائر والمغرب ويزور أولاد الشيخ رضى الله عنه .

وكان صادق المحبة فى المصطفى صلى الله عليه وسلم فانياً فيه ، أبعد الناس عن الدعوى ، لا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ، كثير العبادة ، زاهداً فى الدنيا لا يحرص على جمعها ، وينفق ويتصدق ، ذا همة عالية ، عظيم الثقة بربه ، وكان بيته فى المدينة المنورة مفتوحاً للجميع تفد الناس إليه من مختلف الأقطار كلهم يرجو بركته ودعوته ، وقد انتفع به خلق كثير .

وقد مرض كثيراً فى السنوات الأخيرة ، ورغم ذلك لم يترك الحج أبداً رغم نصح الأطباء له بالراحة ، واشتد عليه المرض فى العام الأخير وهو بالمدينة المنورة ورغم ذلك خرج حاجاً وعاد للمدينة ثم عاد مرة ثانية للعمرة وهو فى أشد المرض .

ورأى أصحابه بعد ذلك أن ينقلوه إلى القاهرة لإتمام علاجه كما أشار بذلك بعض الأطباء ، ولم يقو على معارضتهم فى سفره ، فطلب أن لا يعرض على أطباء ولكن ليرى أحبائه

وأصحابه فى القاهرة ، وقد أنزلوه من الطائرة إلى مستشفى الدكتور جمال بحيرى بمنيل الروضة وهو صديقه وحببه ، ومكث به ما يقرب من ثلاثة أسابيع فى رعاية تامة من السادة الأطباء والمرضى ومن خاصة أصحابه وأحبابه وتلاميذه الذين لم يفارقوه منذ وطئت قدمه مطار القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ محرم ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٧٥ م ، ونخص بالذكر منهم السادة الأفاضل الذين لهم المنزلة العالية فى قلبه الطاهر أحباب روحه وقلبه الأستاذ المستشار الحاج عبد الفتاح نصار النائب الأول لرئيس مجلس الدولة والأستاذ الحاج عمر مرعى المستشار الفنى لمؤسسة المطاحن والمضارب والأستاذ الحاج عبد العزيز سعيد وكيل وزارة الأوقاف وغيرهم .

وقد حاول الأطباء وبذلوا جهوداً كبيرة فى معالجته ولكن قضاء الله لا يرد ، ولم تمكن إعادته للمدينة ، فتوفى رضى الله عنه ورحمه الله فى الساعة السابعة مساء يوم الثلاثاء ٢١ صفر ١٣٩٥ هـ الموافق ٤ مارس ١٩٧٥ م ، ونشر نعيه فى صحيفة الأهرام يوم الأربعاء وأنه سيصلى عليه فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها فى الساعة ٣ مساء ، وما إن حانت تلك الساعة حتى أم المسجد ما لا يحصى من أحبابه وأصحابه وتلاميذه وعارفى فضله ومعتقدى البركة فيه ، وحرص شيخ الإسلام شيخ الجامع الأزهر - صاحب الفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود - على الحضور للصلاة عليه وأم المصلين ، وتتابع الناس للصلاة عليه أفواجا ، وبعد صلاة العصر نقل جثمانه الطاهر فى مشهد مهيب حيث دفن فى مقبرة خاصة أعدها له حببه وصديقه الأستاذ الحاج عمر مرعى فى البساتين ، رحمه الله رحمة واسعة .

وقد كان رحمه الله راضياً بالقضاء صابراً مطمئناً ، وعالجه الأطباء - رغم إرادته - بحقن الدم لتقويته ، وشاءت إرادة الله أن لا يختلط دمه بدم غيره فإنه كان لا يرغب فى ذلك أبداً ، ولذلك كلما أعطى حقن الدم خرج فوراً من فمه فأوقف ذلك ، إلى أن فاضت روحه الطاهرة .

وإننا نعزى أسرته الكريمة ونعزى أحفاد شيخنا رضى الله عنه ونعزى أنفسنا وسائر التجانيين والمسلمين عامة ، ونسأل الله أن ينزل الفقيد منازل الأبرار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ترجمة العلامة الأديب الشيخ سيدي حقي محمد السائح التجاني رضى الله عنه

هو سيدي حقي محمد السائح بن سيدي البشير بن سيدي محمود بن سيدي الطاهر بن سيدي الحاج على التماسيني رضى الله عنهم أجمعين ، ولد رضى الله عنه سنة ١٨٨٥م ببلدة تماسين الواقعة بالجنوب الجزائرى فى ولاية ورقلة ، تلقى تعليمه الأول من مبادئ اللغة وبعض العلوم الأخرى بمسقط رأسه تماسين ، كما حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز سنه الخامسة عشر .

التحق رضى الله عنه بجامعة الزيتونة حاضرة العلم والعلماء آنذاك ، ونبغ فى العلوم التى كان يتلقاها من أهلها حتى سمي بالناطقة الجزائرى إلى أن تخرج منها وحصل على الشهادة العلمية بتفوق .

عاد إلى بلدته تماسين ، وبعد الاستقلال عين وكيلاً للجمهورية - منصب قضائى - بمدينة تقرت غير أنه لم يمكث به طويلاً ، ليتفرغ للتأليف والإبداع ، حيث نشر الشاعر أعماله الإبداعية فى جرائد وطنية وعربية ، كما أن مكانته تجاوزت الحدود الجزائرية حيث ألقى محاضرات علمية بالقطر التونسى مع الشيخ العربى الكبادى والأديب صالح المهدي التونسيين ، فذاع صيته فى الأقطار المجاورة الأخرى كمصر والسودان .

له عدة مؤلفات فى تاريخ المنطقة وتاريخ الطريقة ، كما جادت قريحته بالكثير من القصائد الشعرية والكلمات والمحاضرات وغيرها ، ومن مؤلفاته نجد :

- كتاب التبر المسبوك فى تاريخ وادى ريغ وبنى ميزاب .

- كتاب تحفة الناظر .

- كتاب فى سيرة سيدي الحاج على التماسيني رضى الله عنه .

كان للمترجم له علاقات بشخصيات كثيرة منهم العلامة سيدي أحمد العياشى سكيرج ، حيث استعان به هذا الأخير فى إعداد بعض التراجم فى كتابه رفع النقاب ، منها ترجمة سيدي أحميدة بن سيدي الحاج على التماسيني رضى الله عنه ، وسيدي التجاني بن بابا الشنقيطى .

لصاحب الترجمة إجازات عديدة فى الطريقة التجانية منها :

- ما أخذه عن أبناء الشيخ الأكبر سيدى أبو العباس أحمد التجانى رضى الله عنهم ، كإجازة

سيدى محمد الكبير وإجازة سيدى محمود رضى الله عنهم .

- وما أخذه عن أبناء سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنهم ، كإجازة سيدى البشير

ابن سيدى محمد حمّه ، وإجازة سيدى العيد بن سيدى البشير .

وله أيضاً إجازات من بعض كبار مقدمى الطريقة مثل سيدى العيد بن سالم السوفى

الجزائرى .

وله إجازات علمية منها إجازة فى الحديث والتفسير من سيدى الطاهر بن عاشور التونسى ،

وإجازة من الشيخ الحجوجى ، وإجازة من الشيخ عبد الحى الكتانى .

توفى رضى الله عنه سنة ١٩٦٦ م وقُبر ببلدة تغزوت بولاية وادى سوف بالجنوب الجزائرى .

ترجمة سيدى التجانى بن محمد السائح نصيرى^(١٠٧)

هو سيدى التجانى بن محمد السائح نصيرى العلامة والمقدم وحامل لواء الطريقة التجانية والمشهود له بالفتح ، من مواليد ١٨٨٤ م بولاية الوادى بالجزائر ، درس فى تقرت والطيبات حيث كانت له حظوة كبيرة هناك ، قال فى شأنه المقدم سى العروسى بن عبد الله محمدى ما نصه : " شقيق الروح ، فهو فى الحقيقة روح لا شقيق ، حيث لا فرق بيننا وبينه فى كل شىء حسى أو معنوى ، وهو المحتوى على جميع مالنا من أسرار الطريقة ظاهراً وباطناً ، وهو الوارث لجميعنا فى كل شىء دق أو جل ، تربينا جميعاً وأخذنا الإذن فى الطريقة جميعاً وترددنا على الأبواب الأحمديّة جميعاً ، فنحن روح واحدة وأولى من قول القائل : نحن روحان حللنا بدنا" ، وشهرته تغنى عن التعريف به ، توفى فى ١٠ أبريل ١٩٤٥ م ، وقبر بتقرت - وتبعد عن تماسين ١٥ كلم - بإلحاح من سكان الجهة الذين أبوا إلا أن يدفن عندهم وهذا تبركاً به لعظم شأنه بعدما كان مقرر دفنه بزاوية تماسين ، وصلى عليه الخليفة الشيخ سيدى أحمد بن محمد حمّه التجانى التماسينى ، تخرج على يديه كوكبة من أهل العلم منهم العلامة الأديب الشاعر محمد اللقانى بن السائح .

١٠٧ - هذه الترجمة مأخوذة من رسالة سيدى محمد الحجوجى المكتوبة فى ١٦ رجب الفرد سنة ١٣٤١ هـ الموافق فبراير ١٩٢٣ م .